15 em Année No. 748

Lundi — 3 — 11 — 1947

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٤٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٦٦ — ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

يا أغنيـــاءنا !

قولوا أسلمنا ولا تقولوا آمنّا

لا أزال معجباً بالحديث الدينى الذى نشرته الأهرام منذ أسبوعين لصاحب السمو الملكى أمير الأمراء محمد على بلّغه الله أنفس العمر. وأشد ما حرك إعجابى به، وأثلج صدرى منه، قول الأمير فيه عن نفسه: « إنى أشهد الله على أن كل توفيق أصبته وكل خير نلته، منذ نشأتى إلى اليوم، كان مرجعه إلى ائتمارى بأوامر الدين وانتهائى بنواهيه » وقوله عن مصر وأخواتها: « إنهن لو رجعن إلى الماضى العظيم لعلمن أننا لم نأت بخير ولم نظفر بسؤدد إلا برعاية الدين ».

جميل من سمو الولى أن يعتقد الدين ويعمل به ويتعصب له ويدعو إليه فى وقت نسى الناس فيه الله، فعبد الأمراء الشهوة، وألّه الأغنياء المال، واتّبع الزعماء الهوى، واستجدى الفقراء الحظ. ولكن — وما (لكن) إلا حرف جرىء ملعون يستدرك على كل موجود ما خلا الله — لماذا اقتصر أمير الأمراء من فضائل الإسلام على (المحبة والسلام والصلاة والصيام والعمل والصبر والطهارة) وقد كنا نطمع فى صدق إيمانه وسمو بيانه أن يذكر كذلك الزكاة والإحسان والبر والتعاون، ليعلم أولئك الأمراء الذين أسلموا ولم يؤمنوا، وهؤلاء الأغنياء الذين أساءوا ولم يحسنوا، أن الدين عمل ومعاملة، وتثقيف وتكليف، وإيثار وتضحية؟ نعم كنا نطمع فى سمو الأمير وهو القدوة الحسنى فى قول الحق وعمل المعروف أن يدعو إلى الجهة العملية من الدين عسى أن يستجيب له أولئك الذوات المدللون المرفهون الذين مبزهم الوطن كرهاً على بنيه، وآثرهم الشعب جهلا على نفسه، فيؤتوا حق الله فى أموالهم لتقوى الحكومة على أن تدفع عنهم الوباء، ويشجع الفقراء على أن يشغلوا عنهم الموت. وحق الله الذى يشبع الجائع ويكسو العارى ويداوى المريض ويكفن الميت، ضئيل بجانب حق الشيطان الذى يولم الولائم الفاجرة، ويقيم السهرات الداعرة، ويجود على انجلترة الحؤون من غير طلب، وينفق على تركية العقوق من غير حساب؛ ولكن حق الله على ضآلته ثقيل لأنه ينفق على العامل والفلاح، وحق الشيطان على ضخامته خفيف لأنه ينفق فى الميسر والراح!

إن أكثر الكبراء عِقام أو أعزاب، فلا عيال يكلفون فى الحياة، ولا أعقاب يرثون بعد الموت. فليت شعرى لم لا يتبنون هذا الشعب الكريم وهو الذى وضعهم فى ركب الحياة على كاهله، فأقدامه تحفى من الكلال وهم فى دعة، وجسمه يضوَى من الإقلال وهم فى سعة، ونفسه تضطرب من الأهوال وهم فى أمن؟ إنهم إلا يفعلوا يندموا؛ فإن من المشكوك فيه أن يتسع حلم الشعب طويلا لهذا التفريط فى جنبه. وإن من الصعب أن يغمض عن كزازة أغنيائه وهم يرون وباء الهيضة يقطع السبل ويشل الأيدى ويحصد الأنفس فلا يبسطون لساناً بمعروف، ولا يمدون يداً بمعونة!

إن السيادة لا تكفى للسعادة؛ وإن المال لا يجزى عن الشرف؛ وإن الدنيا لا تغنى عن الآخرة.

(المنصورة) احمد حسن الزيات

إنصاف البيت المظلوم (*)

شباب قنع لا خير فيهم

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١ —

شباب قنع لا خـير فيهم   وبورك فى الشباب الطامحينا

قال هذا البيت (أحمد شوقى) رحمه الله فى قصيدته الشهيرة (توت عنخ أمون) وقبله :

فغالى فى بنيك الصيد غالى   فقد حب الغلو إلى بنينا

والبيتان فيهما مدح عظيم لبنى مصر ولشبابها محبى الغلو الطامحين ...

فكيف رآه الأديب (محمود) صاحب (كلمات) فى (البلاغ) يوم السبت — ذما ؟

وكيف يكون شاعر مصر والعرب كلهم أجمعين قد هجا شباب مصر وهو يغالى فى بيتيه فى مدحهم ؟

إن البيت الأول يوضح الثانى ، والثانى يوضح الأول ، وإذا فهم البيتان جيداً استيقن أن هناك مدحاً عظيما . وقد قالوا : إذا أردت إعراب بيت فافهم معناه ، وإذا أردت فهم معناه فأعربه ، فتعال إلى إعراب (شباب قنع لا خير فيهم) (شباب) مبتدأ و (قنع) نعت ، وجملة (لاخيرفيهم) خبر المبتدأ .

فإن قلت . قد جاءنى الإشكال لأنى أعربت (شباب) خبر المبتدأ محذوف تقديره هم ، قيل لك : البيت الأول والشطر الثانى من البيت الثانى يظاهران إعرابنا هذا ، ويثبتان أن البيت مدح ، مدح كبير ...

— ٢ —

من لصعب الأشياء فى الدنيا توضيح الواضح .

قلت : إن بيت شوقى مدح ، وقلت ليفهم البيتان جيداً ، وجئت بما جئت به . فبقى الأديب (محمود) حيث تركناه لم يتحلحل ، ووجدناه يقول : « بل القول ذم » ، وكأن معنى البيتين هو : فغالى فى بنيك الصيد غالى فقد حب الغلو إلى بنينا الذين هم شباب قنع لا خير فيهم ، وبورك فى الشباب الطامحين » .

فقد حب الغلو إلى بنينا الذين هم شباب قنع لا خير فيهم ما هذه المساطة(١) ؟ هل لنا شوقى بما حكيت ، هل نظم ما نثرت ، وهل هذا من كتاب (الوشى المرقوم فى حل المنظوم) لابن الأثير(٢) ؟ ...

الذى قلته فى كلمتى السابقة هو كاف شاف ولكن هـذا الأديب ، حاله تسأل زيادة ، فله ما يريد :

١ — ليس المقام فى قول شوقى مقام ذم ، ولكل مقام مقال ، وقد جاء البيت يمزز الذى قبله ، وهو بيت حكيم أرسله شوقى مثلا كدأب المتنبى فى حكمه وأمثاله التى تؤيد مقاصده فى أقواله .

٢ — كيف يصف شوقى شباب مصر أنهم مغالون وأنهم قانعون وكيف يقنع المغالى ، وكيف يغالى القانع ؟

دع ميزان الذوق واللغة و (الإعراب) وخذ ميزان العقل وزن ...

٣ — رأى الأديب محمود أن البيت ذم إذ يدعو إلى حب الغلو ، وقال فى كلمته : « وكانت العرب تقول وهى تذم (ما عنده من المعالى إلا الرمى بالمغالى) أى الغـلو والادعاء والتجاوز عن الحد » .

وقد فهم الناقد السجمة كما فهم بيتى شوقى والمعنى الصحيح هو (ما عنده من المعالى إلا الرمى بالسهام) والمغالى جمع مغلاة وهى السهم يغلى به أى يرمى به لا « الغلو والادعاء والتجاوز عن الحد(٣) » .

والقول الذى نسبه إلى العرب هو للزمخشرى ، وهو من سجمات الأساس ، وقد جاء فى هذا الكتاب : « غلا بسهمه وغالى به وتغالينا بالسهام ، وترامينا بالمغالى ، وتقول : ما عنده من المعالى إلا الرمى بالمغالى ، وتقول : أنا لا أحب الغلو فى الدين ، والغلاء فى السعر ، والغِـلاء فى الرمى » .

(١) المساطة : الكلام على غير نظام .

(٢) قال ابن خلكان « كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم وهو مع وجازته فى غاية الحسن والإفادة » طبع فى بيروت سنة ١٢٩٨ ومنه نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية .

(٣) فى الأساس : جزت المكان وأجزته وجاوزته وتجاوزته وتجاوز عن المسىء وتجاوز عن ذنبه . وفى اللسان : تجاوز عن الشىء أغضى ، وتجاوز فيه أفرط .

(*) من كتاب (أمالى النشاشيبى) وهو فى التهيئة للطبع .

بلبلــــة

للأســـتاذ محمود محمد شاكر

لست امرأً قانطاً ولا متشائماً ولا يائساً من خير هذه الأمة العربية ، بل لعلني أشد إيماناً بحقيقة جوهرها وطيب عنصرها وكرم غرائزها ، بل لعلني أشد إيغالا في الإيمان بأنها صائرة إلى السؤدد الأعظم والشرف السرى والغلبة الظاهرة إن شاء الله ، وأنها هي الأمة التي أرصدها بارىء النسم لرد العقل على هذه الإنسانية المجنونة في هذه الحضارة الهوجاء . فالعرب مذ كانوا هم الجوهرة التي أطبقت عليها صحراء الجزيرة ، فما زالت تكتمهم في ضميرها وتحنو عليهم وتعنهم من كل فساد داخل حتى صفا ماؤهم ورف شبابهم وأضاؤوا من جميع نواحيهم . فلما جاءهم محمد ابن عبد الله بشيراً ونذيراً وهادياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صار كل رجل من صحابته نجماً يهتدى به الضال ويأتم به المسدَّد . ويومئذ تمت المعجزة الكبرى في تاريخ العالم ، فانطلقت هذه الفئة الصالحة من عباد الله كأنها السيل المتدفع ، وكأنها الرياح العاصفة ، وكأنها الأشعة المتلألئة ، وكأنها قدر الله ، فدكت حصون الروم ، وثلت عروش الفرس ، ودوخت جبابرة الأمم ، حتى ورثوا أرض الله وأقاموا فيها الحق والعدل بالميزان والقسط ، وجاءت سلائلهم فجددت حضارة الدنيا ، وإذا الذين كانوا بالأمس بداة جفاة غلاظاً فيما يرى الناس من أهل الحضارات السالفة ، هم الناس وهم العلم وهم أرباب الإمرة في كل فن وعلم وسياسة وتدبير ملك . إنها لمعجزة لم يوفها مؤرخ حقها من المجد والقوة والظهور .

فهذا الجيل من عباد الله مطوى على صلاح كثير وخير عميم وقوة خارقة ، لا أظن أن الزمن قد ذهب بها ومحقها ، فلذلك أراني وملء قلبي الإيمان بأنه سوف ينتهي إلى الغاية التي كتبت له في تاريخ هذه الإنسانية . وعسى أن يكون زمن ذلك كله قد أنى وأظل ، فإني أسمع نشيش الحياة وهي تتخلق في مرجل الوجود وقد أحاطت به النيران المجنونة المتضرمة من كل مكان . ولكن لابد لتحقيق ذلك كله من عمل يتولاه رجال من هذه الأمة ، فينفخون في الضرم حتى تستعر النار الخالدة لتنفى عن هذا الجيل كل خبث ألم به من أدران الحضارة التي يعيش فيها عالمنا اليوم . غير أني أخشى أن يكون الإهمال والعجلة وقلة المبالاة وأخذ الأمور بالاستخفاف ، مما يفضى إلى فوات الفرصة التي أمكنت ،

ثم إن الغلوصفة ذم في موطن وصفة مدح في موطن ، والقائل هنا هو القائل في (أمين الرافعي) رحمة الله عليهما :

قيل : (غال) في الرأي قلت هبوه ... قد يكون (الغلو) رأياً أصيلا
وقد يما بنى (الغلو) نفوسا ... وقد يما بنى (الغلو) عقولا

والسرف صفة ذم وقد تجدها في أقوال مدحاً : « قيل للحسن ابن سهل : لا خير في السرف ، فقال : لا سرف في الخير » .

وهل الغلو في التخلص من الاستعباد مذموم ؟ ونحن معشر المصريين مغالون وحالنا مع هؤلاء الانجليز منذ اثنتين وخمسين سنة معلوم ، فكيف لو كنا من المقتصدين المتدلين المتسامحين .

كان فاضل معروف من أدباء مدينتنا[1] هذه قال منذ سبع سنين مثل قولك في ذلك البيت (ما أشبه الليلة بالبارحة) ونشر نقده في جريدة ، ولم كا تلام الفضلاء الكرام ، وقيل له :

(1) أعني (القاهرة) وقد كتب المقالة قاهريا مصريا .

أخطأت ، وقد رأينا ذلك الفاضل[1] بعد أن جاء هذا الظلام وفقد الأقوام « الناطق عن خواطرهم[2] » يبكي (أبا علي) في قصائده طويلا ، ويصيح أين شوقي ، أين شاعر الإسلام ؟ !

وإذا طال المراء في الشيء الثابت وأراد المجادل أن « يطين عين الشمس[3] » جاء قول شوقي :

ومن الرأي ما يكون نفاقا ... أو يكون اتجاهه التضليلا
ومن النقد والجدال كلام ... يشبه البغي والخنى والفضولا

والفتى لا يضع منه رجوعه إلى الحق ، وهو بعد المودة (محمود) والعود أحمد .

محمد إسعاف النشاشيبي

(1) الأديب الكاتب الشاعر الأستاذ محمد الهياوى ، رحمه الله !

(2) قال عبد الرحيم بن علي البيساني (القاضي الفاضل) : « إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس » .

و (أحمد الثالث) في الشعر هو متنبي الوقت .

(3) من أمثالهم ، قال الميداني : يضرب لمن يستر الجلي الواضح .

ويقضى على هذا الأمل الذى يضىء لنا من بعيد ينادينا إلى ما فيه خيرنا وخير هذا الناس

ويخيل إلى أننا نعيش اليوم فى عصر بلبلة واختلاط ، وهذا شىء قد أصاب أمماً كثيرة من قبلنا ، فلم يعقها ذلك عن إدراك الغايات التى حرصت على السعى إليها وعلى بلوغها . بيد أنه لابد لأمة أرادت أن تخلص من هذه البلبلة أن يتجرد من رجالها ونسائها فئة لا ترهب فى الحق سطوة ولا بطشاً ولا اضطهاداً ولا تدخر دون مطالبها جهداً ولا عزيمة ، ولا يثنيها إخفاق ، ولا تلفتها فتنة ، ولا يصرفها الفرح بقليل تناله عن الكدح فى سبيل ما ينبغى أن تناله .

وقد أراد الله لمصر أن تكون فى هذا العصر قدوة العرب ومجتمع أمرهم وكعبة قصادهم ، وهذه البلبلة فى مصر أشد ظهوراً وغلبة منها فى غيرها من بلاد العرب ، فأخوف ما نخافه أن تظل مصر غافلة عن شر هذه البلبلة فتعدى سائر العرب بالأسوة والقدوة ، فينتشر الأمر انتشاراً يعجز المخلصين أن يلموه . فبين ظهرانينا اليوم ألوف من الطلاب العرب قد جاءوا من كل قطر لينهلوا من علم مصر ، ويعودوا إلى بلادهم ليجاهدوا فى سبيلها ، فإذا أعدتهم هذه البلبلة فسوف يحملونها معهم إلى بلادهم فيفرقوا المجتمع من كلمة أممهم ، ويرتكس الأمر حتى يصبح ولا علاج له . هذا ، وأنت لا تعدم صدى البلبلة فى الصحف والكتب والمجلات المصرية التى أخذت تزداد انتشاراً واتساعاً ، فكيف لا يخشى أن يعم هذا البلاء كل بلاد العرب ويتغلغل فى نواحيها ؟ ويومئذ نصبح طعمة للامم الضارية التى تحيط بنا من كل مكان ، وتعد لنا أنياباً عصلا تنهشنا بها يوم يتاح لها أن تنقض على هذه الفريسة التى لا تدفع عن نفسها .

فمن شر هذه البلبلة ، ما نرى من سوء تدبير الأحزاب السياسية المصرية ، فهى قائمة على نزاع دائم فى سبيل الحكم ، يكيد بعضها لبعض ، ويأكل بعضها بعضاً ، ولا يرعى أحد لأحد حرمة . وتنشىء هذه الأحزاب صحافة يكون هم محرريها التشهير بمن يخالفهم فى الرأى والمذهب ، فيدلسون الحقائق ، ويكتمون الحق ، ويفترون على الناس الكذب ، ويلوون ألسنتهم بالحديث ويحرفون أعمال من يعادونهم تحريفاً لئيماً مستهجناً ، كل ذلك ابتغاء مرضاة رؤساء الأحزاب وأصحاب الأمر فيها . هذا ، على أن هذه الأحزاب قد نشأت أو أنشئت بغير أهداف مبينة للناس تساعدهم على أن تسمى إليها ، وبغير برنامج لإصلاح هذه الأمة التى لم تجد لها نصيراً من أبنائها ، وبغير نظام ينفى عن الحزب الدخلاء والملونين وذوى الأغراض الخبيثة .

ثم يأتى بعد ذلك نوع من الصحافة يتلبس بالورع ، ويتظاهر بالتقوى ، ويتخشع بالبراءة من التعصب ، ويبدى للناس أنه طالب خير للناس ، وأنه مريد لنفع هذه الأمة وعامل على ترقيتها وتهذيبها وهو فى خلال ذلك يدس لها سماً زعافاً ومنية قاتلة ، شيئاً فشيئاً ورويداً رويداً وساعة بعد ساعة ، حتى لا تمجه الألسنة لأول مذاق ، ثم إذا بان طعمه شيئاً لم تستنكره ، ثم يستمر حتى إذا دام قليلا ألفته وربت عليه ، ثم إذا زادته شيئاً لم يكن إلا طيباً مستساغاً ، ثم إذا الناس يطلبونه أو يخيل إليهم أنهم يطلبونه لأنه مما يتصل بأدنأ الغرائز الحيوانية والشهوات البهيمية ، ويجند لكل هذا الخبث جمع من الكتاب الذين ضلوا عن حقيقة أنفسهم ، وطائفة من الشباب الذين أفسدتهم المدارس الأجنبية والجامعات الغريبة عن هذه الأمة ، وهذا الضرب من الصحافة الخبيثة هو البلاء المستطير الذى لم يجد إلى اليوم من يكشف عن طواياه الخبيثة وأساليبه القاتلة ، وعن دبيبه فى رأى هذه الأمة العربية دبيب الضلالة فى قلب الغرير المفتون .

ثم يأتى بعد ذلك كتاب وعلماء ورجال من أصحاب الرأى ، ليس فى قلب أحد منهم تقوى لله ولا خشية للاثم ولا محبة للحق ، فيرى أحدهم الرأى الفطير فلا يلبث أن يمسك القلم فيجرى السواد على بياض الورق ، فإذا هى مقالة أو كتاب أو رأى أخبث منه صاحبه والناطق به ، فيأخذه المبتدىء المتطلع ، فيعتقده كأنه لقطة نفيسة بغير تحقيق ولا تمحيص ، فإذا سمع رأياً يخالف ما قرأ لهذا الكاتب البليغ أو الأستاذ الكبير أو الفيلسوف القدير ، أنكره وأدبر عنه ، فيزيده هذا الإنكار لجاجة ، وتزيده اللجاجة عناداً ، ويعلا المناد كبراً ، فيعمى عن الحق وهو بين ، ولا يزال يهوى فى المناد حتى يصير ذلك عادة فى مسألة بعد مسألة ورأى بعد رأى ، وإذا هو عند نفسه أكبر من أن يأخذ عن فلان لأنه يخالفه فى الرأى .

وتزيد الدولة هذا الأمر ضراوة واستعاراً ، فتولى الأمور غير أهلها ، وتضع الناس فى غير منازلهم ، وتكرم فلاناً بالحاقه بوظيفة كذا لأنه من أشياع الحزب الذى يتولى الحكم ، فإذا خافت عليه أن ينتزع من مكانه إذا جاءت وزارة أخرى ، ألحقته بعمل لا يقبل العزل . فإذا جاء وزير للمعارف مثلا وله أصحاب من شيعته ممن عرفوا بشىء من الأدب ألحقه بالمجمع اللغوى مثلا

تكريماً له ، فيريد هذا الرجل أن يحقق معنى هذا التكريم على ما خيلت ، فينبرى لإبداء الرأى فيما لا يحسن ، ويكشف عن عورة من الجهل لا تستر . وليتها كانت رأياً بدا له فكان صاحبه الأول كلا ، بل هو يعمد إلى آراء أماتها الذى أمات الخرافات والأساطير فيخيل إليه أنه وهو الأديب المؤلف الكاتب مستطيع أن يحيى هذه الرمم البالية برأيه وحجته وحسن معرضه ، فكيف تكون مغبة هذا الجهل على شاب ناشئ يقرأ ملفقات السخف المدلس ، وليس عنده قدرة على تمحيصه .

ويأتى آخر يلقيه وزير صديق مثلا على كرسى الجامعة ليدرس العلم لطلاب العلم ، فإذا هو عازم على أن ينشئ علماً جديداً لطلابه ، فيبحث فى تجاريب عقله عن أشياء يخيل إليه أنها فن جديد وبلاغة جديدة وعلم لم يصل إلى إدراكه سابق ولن يناله لاحق إلا بالتلقى عنه والوقوف بين يديه . ويخرج هذا الأستاذ جيلا من مساكين الطلاب لا يحسنون شيئاً إلا التعصب له والتسمى باسمه والتشبه به فى فساد الرأى وقلة العلم وضعف الملكة . ويجتمع منهم ومن شيخهم فئة تهجم على العلم بغير علم ، فإذا أراد أحد أن يقف فى سبيلها تناعقت باسم حرية الرأى وحرمة الجامعة . فكيف تكون العاقبة إذا خرج مثل هؤلاء على الشباب الناشئين بأمثال آرائهم المقيتة الجاهلة ، وعلى رأس كل منهم تاج مكتوب عليه « دكتور فى الآداب » أو « دكتور فى الفلسفة » أو « دكتور فى التاريخ » ؟ وكيف يسلط هؤلاء على عقول ناشئة العرب ، يفتنونهم بالألقاب والأسماء ، ويتعاون هذه الفئة الضالة على نصرة بعضهم لبعض ؟

فإذا بقى الأمر على ما نرى فى أمر زعمائنا ، وفى أمر سياستنا ، وفى أمر اجتماعنا ، وفى أمر أدبنا ، وفى أمر صحافتنا ، وفى أمر مدارسنا وجامعاتنا : فكيف نرجو أن نصل إلى غايتنا ؟ وكيف يتاح لهذه الشعوب العربية الكريمة أن تتأهب للمعركة الفاصلة فى تاريخ العرب ؟ وكيف تجتمع كلمة العرب على بلوغ الهدف الأعظم ، وهو هدف يرمى إلى إنقاذ الإنسانية كلها من ردغة الخبال التى ألقت بها فيها حضارة ضخمة ، ولكنها قد حشيت شراً كثيراً وخبثاً ؟

ولو شئنا أن نتقصى ظواهر هذه البلبلة فى أشياء كثيرة مما يتعرض لها الشعب مرغماً أو مريداً أو مخدوعاً لأعللنا ، فما من شىء إلا وقد اختلط فيه الأمر على غير هدى . وإذا شئت أن تقدر سوء ما جنينا من شرها ، فجالس من شئت من طوائف الشباب وجاذبهم الحديث ، واستدرجهم إلى المناقشة فى رأى أو علم أو فن ، تسمع العجب العاجب من الخلل فى موازين الأشياء ، والحيرة المطبقة فى تقدير ما يقع تحت أبصارهم وأسماعهم ، والعجز المضطرب عن ضبط الرأى ، والضعف المطلق عن القيام بحق العقل والإدراك وأكبر من ذلك كله أنهم أصبحوا لا يرون صاحب رأى إلا وهو دونهم ، فلا يسلم من انتقاصهم ونقدهم ، فإذا صححت لهم وأردت أن تقيمهم على الطريق استكبروا وأعرضوا ، فكيف تأتى أنت فتعلم حامل شهادة الحقوق أو الطب أو الأدب أو الفلسفة شيئاً يستيقن هو فى نفسه أنه قد فرغ منه وعلمه علماً ليس بعده إلا العروج إلى سماء الخلود

وكذلك الأمر فى طبقات أخرى من العلماء إلى الأدباء إلى رجال القلم إلى أصحاب الصناعات إلى عامة الناس . وهذا شىء مخوف مدمر للجهود الذى بذلها طائفة من السلف القريب فى تسديد خطى هذا الشعب وترقيته وتهذيبه وتطهيره من الجهل والبلادة والغفلة . وإذا طال ذلك ولم نعالجه فى مدارسنا وجامعاتنا وصحافتنا ، وفى دور التسلية ، وفى أندية المجتمع ، فالعاقبة الوخيمة بالمرصاد لمن أهمل وأضاع وترك الأشياء تمضى فى غير عنان وعلى غير هدى .

ونحن الآن أحوج ما نكون إلى صحافة جديدة حرة لا تخاف شيئاً ولا تخشى ، تدل على مواضع العيب لا للطعن والتشهير وسب هذه الأمة ، بل لعلاجها والدفاع عنها ونصرتها على نفسها . ونحن الآن أحوج ما نكون إلى شباب من الكتاب وشيوخ من المحنكين يخلصون الرأى لهذه الأمة ، فلا يدعون الفرصة تفوت ويحملون الشعلة الجديدة إلى الجيل الجديد الذى لم يلوثه العناد والكبرياء واللجاجة والمراء . ونحن الآن أحوج ما نكون إلى طائفة ممن خبروا الحياة وعرفوها ليكونوا شهداء على مدارسنا وجامعاتنا وصحافتنا ، تستعين بهم الدولة على نهج جديد يمنع عن جماهير الشباب وطوائف الأمة كل ما يزيد هذه البلبلة إيغالا وضراوة .

إن الزمن يمضى مضاء حثيثاً كالنار فى الهشيم ، فإن شئنا أن نحيى وأن نستعد لذى أعدنا الله له من الظهور فى الأرض ، وإصلاح ما اختل من شئونها . فعلى كل قادر أن يجمع أمره ، وأن يدعو أصحابه ، وأن يلم الشعث المتفرق ممن يظن فيهم خيراً ، لكى يتعاونوا جميعاً على رد هذا البلاء بالرفق فى مواضع الرفق ، وبالبأس فى مواضع البأس ، وبالبتر حيث لا يجدى شىء إلا البتر بلا هوادة ولا رحمة ...

محمود محمد شاكر

١١ – رحلة إلى الهنـــد

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

ضريح هُمايون

إلى الغرب والشمال من دهلي تقوم أبنية كثيرة هي بقايا الأحداث والغِيَر من مقابر الملوك التيموريين . وأعظمها تمثال المجد الماثل على ضريح نصر الدين همايون .

همايون الملك الثاني من هذه الأسرة المجيدة العظيمة التي سيطرت على الهند قروناً . وهو سيرة عجيبة من الهمة التي تحقر الصعاب ، والعزم الذي ينكر الأهوال ، والأمل الذي يكفر بالمستحيل .

أبوه ظهير الدين بابُر ورث إمارة في سمرقند وفرغانة وهو صبي في الثانية عشرة . فلما غُلب عليهما بعد خطوب طويلة ، وجّه همته إلى أفغانستان ففتحها واستولى على بَدَخشان ثم كابل وقندَهار ومدن أخرى . واستعاض عن الأمارة الصغيرة التي فقدها إمارة أعظم . وأحال الهزيمة انتصاراً ، وزوال الملك وسيلة إلى ملك أكبر ، واليأس من سمرقند يقيناً بفتح كابل . ثم وجّه أمله وهمته وعزمه وعقله وعبقريته في السياسية والحرب ، إلى الهند فلم يثبت لجيشه جيش ، ولم يقم لدهائه دهاء ، ولم يصدّ تدبيره تدبير . فامتدّ به الفتح شمالا وجنوباً .

ومات بابر بعد خمس سنوات من انتصاره الهائل في معركة بانى بات التي فتحت له أبواب الهند ، وما رسخت قواعد الملك ، ولا اطّأدت أساطين الدولة ؛ بل ما قرّ عجاج الحروب ، ولا فارق الأسماع صدى السلاح . فورث ملكه ابنه همايون وسنّه تسع عشرة سنة . فاستأنف فتوح أبيه ؛ ولكن شيرشاه أمير بهار استطاع أن يصدّ السيل ثم يردّه صوب الغرب شيئاً فشيئاً حتى اضطَرّ همايونَ إلى السند . ثم أخرجه إلى إيران مغلوباً قد فقد ملك أبيه كله فعاذ بملوك الدولة الصفويّة وبقى همايون خمس عشرة سنة لاجئاً لا ملك له ولا وطن .

ولكن العزيمة التي سخّر بها بابر أفغانستان والهند حينما طرد من سمرقند ، سيّرت همايون من إيران إلى الهند ليفتحها ويسترد مُلكه كأنه لم يغلب عليه ، ولم يطرد منه ، ولم يلبث خمسة عشر عاماً بعيداً عنه في حماية ملوك إيران . فتح دهلي سنة ٩٦٢ بعد ثلاثين سنة من فتح بابر إياها . وبعد سنة مات همايون وسنه خمس وأربعون سنة .

بنى خزانة كتب عظيمة وصعد عليها يوماً فزلّت قدمه فسقط فمات . ومن العجيب أن تاريخ وفاته في هذه الجملة : « الملك همايون سقط من السطح » (همايون بادشاه أزبام أفتاد) .

حزنت زوجه حميده بانو بيكُم على زوجها بل وَلهت فخرجت إلى الحج ورجعت مستصحبة مهرة البنّائين والصناع لتبنى لهمايون ضريحاً يكافىء عظمته ، ويمثّل مكانته في قلبها ، ويخلّد ذكراه على الأرض . وبنت هذا الأثر الرائع . وهو أول نموذج لمقابر الملوك المغول التي افتنّوا فيها من بعدُ حتى بلغ الفن ذروته في تاج محل .

وفي جانب من حديقة المقبرة دار خربة تسمى عرب سراى (دار العرب) يقال إنها كانت دار الصناع الذين قدموا مع السيدة من البلاد العربية .

كان هذا أول قبر على هذا الأسلوب في الهند . وأما بابر أبو همايون فلم يدفن في الهند بل قبره في كابل .

وقد حدثني الأديب الكبير سرورِ كويا أستاذ الأدب الفارسي في جامعة كابل — وقد سعدت بلقائه في إيران قبل ثلاث عشرة سنة وفي الهند هذا العام — قال كنت في صحبة الشاعر العظيم الفيلسوف محمد إقبال حينما زار قبر بابر في كابل . فالتفت إليّ قائلا : يا سَرْوَرَا كتب وأملى عليّ هذين البيتين بالفارسية :

خوشا نصيب كه خاك تو آرميد اينجا
كه اين زمين ز طلسم فرنك آزاد ست
هزار مرتبه كابل خوش است أزدلى
كه اين عجوزه عروس هزار داماد ست

وترجمتها :

طوبى لك إذ استراح ترابك هنا
فهذه الأرض منزهة عن سحر الفرنج

إن كابل خير من دهلى ألف مرة

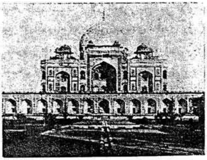
فتلك العجوز عروس لألف زوج

والشطر الأخير شطر معروف لحافظ الشيرازى فى وصف الدنيـــا .

ورحم الله إقبالا ! كأنه رأى بظهر الغيب غدر هذه العجوز بالمسلمين . فهى اليوم تطردهم وتفتك بهم ولا ترعى عهدهم وقد سيطر عليها سلطان المسلمين ثمانية قرون عدلوا فيها وأحسنوا ورحموا رعاياهم وتركوهم أحراراً فيما يدينون . فبقيت الكثرة لغير المسلمين فى دار الملك الإسلامى حتى زالت دولتهم .

***

تدخل حديقة واسعة جداً فى وسطها بناء تفضى إليه طرق أربعة مبلّطة فيها قنوات وأحواض . وكل طريق يمتد بين باب للحديقة وهذا البناء . سرنا من الدخل فى إحدى هذه الطرق إلى دكّة رقينا إليها ست درجات . وفوقها دكة أخرى عظيمة عالية مربعة فى كل ضلع منها خمسة عشر عقداً أوسطها يفضى إلى خمس وعشرين درجة تصعد إلى القبة الحانية على الضريح — كما ترى فى الصورة —



وعلى الدكة العالية بناء مربّع الجوانب وسطه قبة شامخة من الرخام الأبيض تحيط بها حجرات متواصلة فى هندسة محكمة جميلة . وفى هذه الحجرات قبور قيل لى أنها ستة وخمسون لأمراء الدولة وأعيانها .

ودخلت فاذا قطعة من الرمر جاثمة فى الوسط تحتها رفات همايون وفوقها قبة تقوم على ثمانية عقود . ولا تبدو القبة عالية من الداخل لأنها قبة مزدوجة أى قبتان إحداهما فوق الأخرى . وهى أول قبة من هذا النوع فى الهند . وقد رأيت فى مسجد الشاه بأصفهان قبة عظيمة فوق القبلة مزدوجة يتردد صدى الصوت تحتها عشر مرات أو أكثر ، ولكن قبة همايون لا تردد الصدى كأنما أخرسها جلال الموت ، أو هيبة الملك .

خلعت نعلى وخطوت خطوات إلى القبر فوقفت واجماً خاشعاً حيناً ورافعاً بصرى إلى القبة حيناً . قلت : قبر عظيم ولكن ذكرى همايون أعظم . إن عزمك الماضى أيها الملك الهمام ، وهمتك العالية طُويتا فى هذا اللحد ، لا بل هما ملء التاريخ …

قرأت الفاتحة خاشعاً وخرجت .

ثم صعدت إلى السطح المحيط بالقبة فإذا هذا التناسق الكامل الذى يميز أبنية السلاطين التيموريين كلها . فى كل جانب قباب يصعد إليها دَرَج . وفى الزوايا قبـاب أصغر منها فى تناظر تام وتناسب لا يتسع المجال هنا لتفصيله .

نزلت وخرجت مع الرفاق والتاريخ يمرُّ أمامى سريعاً فأرى همايون فاتحاً . وهمايون دفيناً ، وأرى الأحداث تتوالى فتشمل الدولة أرجاء الهند كلها ويجمع البلادَ سلطان واحد لأول مرة فى تاريخها ثم يجزر البحر فتضعف الدولة ويتسلط الإنكليز .

وتتوالى الخطوب حتى أرى بهادُر شاه آخر السلاطين من ذرية همايون يحتمى بحرم جده ، بهذه المقبرة وهو يحارب الإنكليز قبل تسعين عاماً فيؤسر وينفى . ويؤخذ من هذا الحرم بنوه الثلاثة مُغل وخضر وأبو بكر فيقتلون صبراً على مشهد من الناس .

قلت : ما دفن هنا همايون وحده ولكن دفن كل تاريخ الدولة التيمورية . فيا لك أول ضريح للدولة العظيمة فى الهند وآخر ضريح .

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

وضع فى المثال الذى فى العدد (٧٤١) صورة ضريح اعتماد الدولة خطأ موضع صورة الجامع الكبير فى دهلى ، وسنعيد نشر الصورة الأولى فى موضعها ونشر صورة الجامع الكبير فى خاتمة المقالات .

الفضـــاء والعدم

للأستـــاذ نقولا الحداد

استأذن الكاتب الكبير الأستاذ العقاد بأن أعلق على مقاله « أساطير الآخرين » في ١٣ أكتوبر الحالي من الرسالة بكلمة في موضوع العدم والفضاء .

العدم اسم لغير مسمى . أعني أنه لا يوجد في الوجود شيء أو كائن يصح أن يسمى « عدماً » هو في غير لغتنا « لا شيء » وفي نفسنا هو لا شيء أيضاً . واللاشيء ليس ذاتية حتى يعرف أو يوصف أو « تفسر له ماهية »

أما الفضاء فهو الحيز الذي تشغله أو تشغل بعضه مادة ذات حدود . وأما الخلاء فهو الفراغ بين مادة ومادة . والمادة محده ولهذا يمكن أن يقاس بمقياس

يستحيل علينا أن نتصور الفضاء فراغاً مطلقاً خلواً من مادة مهما أمعنا في التصور

لولا وجود المادة لما كان فضاء البتة . هل تستطيع أن تتصور فضاء فارغاً لا شيء فيه . تصور وقل لي ماذا تتصور

المادة كثيفة كانت أو لطيفة قضت بوجود الفضاء (الحيز) إنف المادة ينتف الفضاء . هذا هو العدم — اللاشيء

فهذا الحيز الذي نسميه فضاء لابد أن يكون مشغولا بمادة حتماً . المادة نوعان : كثيفة وهي الأجرام الفلكية التي نحس بوجودها بالحس البصري . ولطيفة وهي الأشـــعة الوجية الكهرطيسية (الكهربائية المغنطيسية) التي نحس بها بالبصر كالنور أو بالآلات الرصدية المختلفة كأمواج اللاسلكي غير المنظورة

أما أن النور وكل درجة من درجات الكهرطيسية كالأشعة السينية وأشعة ما فوق البنفسجي وتحت الأحمر هي أمواج أو تموّج لحقيقة لا شك فيها لأن العمليات الامتحانية العديدة لا كتشاف طبيعـة النور وحركة اللاسلكي في الفضاء أثبتت بوضوح أن هذه الأشعة الكهرطيسية هي موجات في الفضاء

فلذلك تساءل العلماء فيما بينهم : ما هو هذا الشيء التموج ؟

لم يستطيعوا جواباً على السؤال إلا بفرض الأثير . وهو في نظرهم مادة متناهية في اللطف تملأ هذا الفضاء . وذرات المادة أو ذراتها السابحة في الفضاء الثائرة الحركة فيه تصدم هذا البحر الأثيري فيتموج وأمواجه تصدم مشاعرنا البصرية والعصبية فنحس بوجود تلك المواد الثائرة . فالكهرطيسية في نظرهم هي تلك الأمواج الأثيرية . وهي ما يسمونه بالاشعاع Rodiation

ولكن هذا التعليل الكهرطيسية (التي منها النور) لم يكشف لهم بقية أسرار الوجود . فقد رأى العلماء في سياق أبحاثهم أن هذا الإشعاع ليس بمجرد صدم المادة أو ذراتها لبحر الأثير فقط بل هو أيضاً انتثار ذريرات من الجسم المادي في هذا البحر (ويسميها العلماء فوتونات) وهي من ضرب ذريرات الأثير بعينها . وبعض العلماء يعتقدون أن مادة الأكوان مؤلفة من فوتونات الأثير . أي إن الأثير هو أصل المادة — هو الهيولى

ولهذا وجد العلماء أنفسهم أمام نظريتين مختلفتين بشأن النور وكل إشعاع كهرطيسي : الأولى أمواج أثيرية يحدثها اصطدام ذرات المادة ببحر الأثير . والثانية تدفق فوتونات المادة في هذا البحر انحلت إليها ذرات المادة ، فجرت فيه كما يتدفق ماء المطر في البحر فيجري فيه . وهذا سمي تجايمس تجيز هذا الإشعاع الكهرطيسي Wave Cle مشتقة من Wave و Particle بغية جمع النظريتين في نظرية واحدة

أعود إلى مظنة الزهاوي إن الله هو الأثير

والظاهر أن الزهاوي بقوله هذا يريد أن يمرفنا بحقيقة الله في الطبيعة فخاب قصداً . لأن المفهوم من معنى الألوهية عند الكتابيين أن الله روح غير منظور سرمدي (أبدي أزلي) خالق كل شيء وقادر على كل شيء وموجود في كل زمان وكل مكان وهذا الوصف لا ينطبق على طبيعة الأثير في كل شيء لا ينطبق عليه في أن الأثير خالق كل شيء بل كل المادة الكونية مؤلفة منه ولكنه لم يؤلفها هذا في رأي علماء هذا العصر . وليس الأثير قادراً على كل شيء أو ليس له قدرة ولا قوة بحد ذاته وإنما هو الوسط الذي تتحرك فيه مادة الأكوان

ولو قال إن قوة الجاذبية هي الله أو أنها الأداة التي في يد الله وبها يحرك الله الأكوان جميعاً ، وكل حركة كلية أو جزئية صادرة من قوة الجاذبية لربما اقترب من الحقيقة لأن الجاذبية قوة سرمدية موجودة في كل زمان ومكان وبها تتحرك جميع الأكوان عظيمها وصغيرها من أدق الحركات الكونية إلى أعظم حركات الأجرام الفلكية . والله أعلم

نقولا الحداد

الأسطورة والاعجاز القرآنى

للأستـــــاذ محمد أحمد خلف الله

قلنا فى مقالنا السابق إن الأقدمين من المفسرين قد فهموا من الأسطورة أنها ما سطره الأولون من قصصهم وأحاديثهم ونقلنا عن كتبهم من النصوص ما يثبت ذلك . ولعلنا لم ننس بعد ما ذهب إليه الطبرى فى آخر عبارته من القول بأن المشركين ما كانوا يقصدون من وراء كل هذا إلا القول بأن هذه الأساطير من عند محمد لم يجئه بها الوحى ولم تنزل عليه من السماء.

وقلنا فى نفس المقال أن الرازى قد فطن إلى الصنيع الأدبى فى بعض القصص القرآنى حين فرق بين جسم القصة وما فيها من توجيهات دينية هى قصد القرآن من قصصه . ولعلنا لم ننس بعد ما ذهب إليه الرازى من أن الأمر الأول هو الذى أدخل الشبهة على عقول المشركين وعلى قلوبهم وأنهم من أجل هذا قالوا بأن ما يجىء به محمد ليس إلا أساطير الأولين . ومعنى ذلك أيضاً أنهم ينكرون أن يكون قد جاء بها الوحى أو نزلت عليه من السماء .

واليوم نريد أن ندرس مع القراء موقف القرآن نفسه من هذه الأساطير .

وموقف القرآن يتلخص فى الاجابة عن هذا السؤال . هل نفى القرآن عن نفسه بناءه بعض القصص على الأساطير ؟ .

هذه هى الآيات التى تعرضت لهذه المسألة من القرآن الكريم

(١) قال الله تعالى « ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين » انعام ٢٥

(٢) وقال تعالى « وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » الأنفال ٣١ ، ٣٢

(٣) وقال تعالى « وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين » النحل ٢٤

(٤) وقال « بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين » المؤمنون ٨١ ، ٨٣

(٥) وقال « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما » الفرقان ٥ ، ٦

(٦) وقال « وقال الذين كفروا أئذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين » النمل ٦٧ ، ٦٨

(٧) وقال « والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين » الاحقاق ١٧

(٨) وقال ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » القلم ١٠ ، ١٥

(٩) وقال « ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » المطففين ١٠ ، ١٣ .

هذه هى الآيات التى سور القرآن فيها هذه العقيدة فلننظر لنرى ماذا فيها من حديث ؟ .

أول الأشياء أنها جميعها من القرآن المكى حتى ما نزل فيها من سورة الأنفال المدنية إذ نص القدماء واعتمد ذلك المصحف الملكى على أن الآيات من ٣٠ — ٣٦ من سورة الأنفال مكية. ومعنى ذلك أن هذا القول إنما كان من المشركين من أهل مكة وأنه اختفى بانتقال النبى إلى المدينة ولذلك سر سنقف عليه بعد حين .

وثانى الأشياء أن القائلين لهذا القول هم فى الغالب الذين ينكرون البعث ولا يؤمنون بالآخرة وذلك واضح كل الوضوح من آيات سور . المؤمنون . النمل . الأحقاف . المطففين . ذلك لأن الحديث مهم فى هذه المسألة بالذات .

ثم هو متصل بسبب قوى بالحديث عن الحياة الآخرة فى آيات سور الأنعام والنحل .

ومعنى ذلك فيما نرى أنهم كانوا يعتبرون الأقاصيص التى تجسم عملية الأحياء بعد الاماتة والتى تمثلها للناس على أنها قد وقعت . من الأساطير .

وإذا ما ضممنا إلى هذا أمراً آخر هو أن تلك الأقاصيص القرآنية التى يذهب المستشرقون إلى أنها من الأساطير كقصة أهل الكهف تلك التى يسمونها أسطورة السبعة النيام وقصة الذى مر على قرية وهى خاوية « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير . » كان موضوعها البعث وأنها تجسم عملية الأحياء بعد الإماتة وتمثلها للناس على أنها قد وقعت . تبين لنا أن الشبهة قد دخلت على أولئك من الباب الذى دخلت منه على هؤلاء .

ومعنى ذلك أن هيكل القصة لا ما فيها من توجيهات دينية كان العامل القوى فى الذهاب إلى هذا القول من أولئك وهؤلاء .

ومن الصدف الغريبة أن المحدثين من المفسرين يرون أن هذه القصة الأخيرة قصة الذى مر على قرية وهى خاوية قد يكون القصد منها التمثيل . فقد جاء فى المنار ج ٣ ص ٤٩ بعد تفسيره لتلك القصة ما يأتى (ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل)

إن الأمر كما قلت فى مقالى السابق يحتاج إلى النظرة الدقيقة الفاحصة . نظرة العلماء الذين يقفون على أسرار الصناعة الأدبية ويفقهون المسائل القرآنية ويواجهون الحقائق مواجهة العلماء . أما أولئك الذين يفزعون ويهرعون إلى وهمهم كلما تحدث متحدث ليقذفوه بالكفر ويرموه بالإلحاد فأولى للقرآن ثم أولى لهم أن يختفوا من الميدان .

إن قوة عقيدة المشركين وسعة أفق المستشرقين يضطر اننا إلى أن نتناول المسألة كما يجب أن يتناولها العلماء .

لنستعرض سويا هذه الآيات ولننظر فسنرى

فى سورة الأنعام يذهب المشركون إلى النبى يستمعون إلى القرآن لكنهم بعد الاستماع يجادلونه ويقولون له ما هذا إلا أساطير الأولين . ونعتقد أنهم لم يقولوا هذا القول فى مواجهته وأمام سمعه وبصره . إلا وهم يعتقدون أن ما يقولونه الحق وما يرونه الصواب . ومعنى ذلك أن الشبهة عندهم قوية جارفة .

وفى سورة الأنفال يذهبون ويستمعون وبعد هذا وذاك يقولون قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ولا يكتفون فى هذا الوطن بهذا القول وإنما يذهبون إلى أبعد من هذا فى التحدى ويقولون . اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم .

وإذ كنا نعتقد بصدق القرآن فى تصوير إحساساتهم كان لابد لنا من التسليم بأن هذه العقيدة قوية جارفة وتقوم على أساس يطمئن إليه المشركون . ذلك هو ورود بعض الأساطير فى القرآن الكريم .

وفى الأحقاف يقف ولد هو فيما روى المفسرون ابن أبى بكر من والديه هذا الموقف القاسى العنيف (والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ماهذا إلا أساطير الأولين)

وإذا كنا نعتقد بصدق القرآن فى تصويره لخلجات الأنفس فإن الأمر الذى لا بد لنا منه هو الاعتراف بأن هذا الشخص الذى يضجر من والديه ويتأفف من قولها ويشك فى عودته إلى الحياة مرة ثانية ويقيم هذا الشك على ملاحظته لظاهرة من الظواهر هى أن القرون قد خلت من قبله ولم يعد إلى الحياة أحد كان قوى العقيدة شديد اليقين فى أن ما يروى له من الأساطير

وهكذا نلحظ أن الشبهة قوية عنيفة وأن القرآن يصورها تصوير الصادق الأمين . ونحس نحن من تصوير القرآن لها أن القوم كانوا صادقين فى التعبير عما يحسون ويشعرون به نحو ما يتلى عليهم من آى القرآن الكريم .

والمسألة عقلا لا تحتمل أكثر من فرضين .

الأول أن القوم يقولون هذا القول كذباً وادعاء لتضليل الناس وصرفهم عما يتلو عليهم محمد من آى الذكر الحكيم .

الثانى أن القوم كانوا يعبرون التعبير الصادق عما يدور فى

خلدهم من إحساسهم بأن فيما يتلى عليهم بعض الأساطير .

ونرجح نحن الفرض الثانى ولكن نكتفى فى ترجيحنا له على القول السابق من صدق القرآن فى تصوير إحساسهم من أن الذى يتلى عليهم فيه بعض الأساطير . وإنما سنعمد إلى شيء آخر يدل على صدق عقيدتهم هو موقف القرآن الكريم .

لنستعرض الآيات مرة أخرى فنرى .

١ — اكتفى القرآن بوصف هذا الصنيع من المشركين فى آيات سور الأنفال والمؤمنون والنمل والأحقاف .

٢ — اكتفى القرآن بتهديد القوم فى آيات سور الأنعام والقلم والمطففين . وهو تهديد يقوم على إنكارهم ليوم البعث أو على صدهم الناس عن إتباع النبى وليس منه التهديد على قولهم بأن الأساطير قد وردت فى القرآن الكريم .

٣ — ومرة واحدة رد القرآن عليهم قولهم وهى المرة التى ترد فى سورة الفرقان وهذه هى الآيات . قال تعالى (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما)

وهو رد لا ينفى كما ترى ورود الأساطير فى القرآن وإنما ينفى أنها من عند محمد يكتتبها وتملى عليه ، ويثبت أنها من عند الله . قل أنزله الذى يعلم السر ... الخ .

ويحسن بنا أن نثبت هنا نصاً للرازى فى هذه المسألة فقد قال رحمه الله فى ج ٦ ص ٣٥٤ ما يأتى (البحث الأول فى بيان أن هذا كيف يصلح أن يكون جواباً عن تلك الشبهة وتقريره ما قدمنا من أنه عليه السلام تحداهم بالمعارضة وظهر عجزهم عنها ولو كان عليه السلام أتى بالقرآن بأن استعان بأحد لكان من الواجب عليهم أيضاً أن يستعينوا بأحد فيأتوا بمثل هذا القرآن فلما عجزوا عنه ثبت أنه وحى الله وكلامه فلهذا قال (قل أنزله الذى يعلم السر ...) انتهى .

والذى يحسن بنا أن نلتفت إليه هنا هو أن الرازى يسأل عن كيفية أن يكون قوله تعالى : قل أنزله الذى يعلم السر ... الخ إجابة عن قولهم وقالوا أساطير الأولين ... الخ . ذلك لأن الرد الذى كان يتوقعه الرازى إنما يكون بنفى الأسطورية عن القرآن ومن هنا حاول ما حاول ليجعل إجابة القرآن ملاقية للشبهة .

وأعتقد أن الرازى لم يفطن إلى الصواب فإجابة القرآن هى الإجابة الطبيعية وهى الإجابة التى لا محيد عنها فى هذا الميدان . ذلك لأن مدار الحوار بين القرآن والمشركين لم يكن عن ورود الأساطير فى القرآن وإنما كان على اتخاذهم ورود الأساطير دليلا على أن القرآن من عند محمد لم يجئه به الوحى ولم ينزل عليه من السماء . ومن هنا كانت الإجابة فى محلها وكانت إثبات أن القرآن من عند الله (قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض) ولم تكن الإجابة نفى ورود القصص الأسطورى فى القرآن .

وهذا هو الذى نص عليه الطبرى فيما نقلنا عنه من حديث فى مقالنا السابق . وهذا هو الذى يدل عليه ما ذكره القرآن من قبلهم (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) . ذلك لأنهم كانوا يستبعدون أن يصدر مثل هذا القصص الأسطورى عن الله . ومن هنا وقفوا موقفهم من النبى وقالوا عنه وعن القرآن ما قالوا .

والآن نستطيع أن نلتفت قليلا إلى الوراء .

لقد رصدنا فى مقالنا السابق ما نجنيه من الفوائد وقلنا إن أهمها تخليص القرآن من مطاعن الملاحدة والمستشرقين .

والآن نعود إلى رصد شيء آخر هو أعز علينا وآثر عندنا من كل ماعداه ذلك لأنه سر قوى من أسرار إعجاز القرآن الكريم

لقد كان هذا الصنيع الأدبى من القرآن — وهو بناؤه بعض قصصه الدينى على أساس من الأساطير القديمة — تجديداً فى الحياة الأدبية عند العرب المكيين . وكان تجديداً لم يعرفه القوم من قبل لبعدهم عن الكتب السماوية ومن هنا أنكروه وقالوا ما قالوا عن النبى وعن القرآن الكريم .

ولقد كان هذا الصنيع الأدبى مما ألفه القوم من الدنيين خاصة أهل الكتاب ذلك لأنه الصنيع الذى جرت عليه التوراة وجاء به الإنجيل ومن هنا لم ينكروه ولم يقولوا فيه مثل ما قال الأولون من المكيين . ولا يزال هذا الصنيع حتى اليوم من عمل الأدباء المجيدين ولا بدع فى أن يكون صنيع القرآن وهو فى أعلى ما عرفت العربية من طبقات البلاغة وأدب القائلين .

وهذا ما نحسب أنه السر الذى أشرنا إليه فى أول هذا المقال من وجود هذه العقيدة بمكة واختفائها بانتقال النبى إلى المدينة

بين السياسة والأدب :

انجلترا فى مرآة حافظ

للشـــيخ محمد رجب البيومى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

ونعود ثانية إلى حافظ ، فنذكر أنه استقبل السير غورست خليفة اللورد كرومر بقصيدة حافلة ، نطق فيها بآلام الشعب وآماله وعاوده السخط على العميد الراحل ، فسلقه بلسان حاد قاتل ، ثم انتقل به الحديث إلى عدو اللغة العربية « دنلوب » وما ارتكبته فى دار المعارف من حماقة ونزق ، فقال .

رمى دارة المعـارف بالرزايا   وجاء بكل جبار عنيـــد
يدل بحوله ويتيه تيهـــا   ويعبث بالنهى عبث الوليد
فبـــدد شملها وأدال منها   وصاح بها سبيلك أن تبيدى

فليت كرومرا قد دام فينا   يطوق بالسلاسل كل جيد
لننزع هذه الأكفان عنا   ونبعث فى العوالم من جديد

وقد كان شاعر النيل صادقاً حين عبر فى هذه القصيدة عما يضمره المصريون للمحتلين من غضب وغيظ . وكيف نغرت فى النفوس جراح دامية لا تكاد تندمل حتى يهيجها الشر مرة أخرى فتنفث ما بها من قيح وصديد ، اسمعه إذ يقول :

جراح فى النفوس نغرن نغرا   وكن قد اندملن على صديد
إذا ما هاجهن أسى جـديد   هتكن سرائر القلب الجليد
فنح غضاضـة التاميز عنا   كفانا سائغ النيل السعيد
أرى أحداثكم ملـكوا علينا   بمصر موارد العيش الرغيد
أكل موظف منـكم قدير   على التشريع فى ظل العميد
اذ يقونا الرجاء فقد ظمئنا   بمهد المصلحين إلى الورود

وإذا كان اللورد السابق قد ارتكب جرائمه فى وضح النهار فإن السير غورست قد تقنع بالمكر والخديعة فأظهر كثيرا من البشر والابتسام ، بينما أخذ ينفث سمومه القاتله فى دامس الظلام ففرق بين المنصرين الوطنين ، وأعاد النعرة الطائفية جذعة ، ثم اتفق مع أولياء الأمر على محاربة المخلصين من أشياع الحزب الوطنى وما لبث المصريون أن عرفوا نيته الخبيثة ، فقام حافظ يندد بهذه الملاينة الماكرة ، وصاح فى ذكرى مصطفى كامل يقول :

وللسياســة فينا كل آونة   لون جديد ورأى ليس يحـترم
بينا ترى جرحها تخشى ملامسه   إذا به عند لمس المصطلى فحم
تصغى لأصواتنا طورا لتخدعنا   وتارة يزدهيها الـكبر والصمم
فن ملاينة أستارها خدع   إلى مصالبة أستارها وهم
إذا سكتنا تناجوا تلك عادتهم   وإن نطقنا تنادوا : فتنة عمم
ماذا يريدون لا قرت عيونهم   إن الـكنانة لا يطوى لها علم
قالوا لقد ظلموا بالحق أنفسهم   والله يعلم أن الظالمين هم

وأنت ترى شاعر النيل فى إبياته المتقدمة غير قاس فى هجومه وله العذر فى ذلك ، فقد كان قانون المطبوعات قد بعث من مرقده إبان ذلك ، فقيد حرية الرأى والكتابة ، وعملت وزارة بطرس غالى باشا — بإيعاز من غورست — على محاربة الكرام الكاتبين والشعراء النابهين من أبناء الوطن المخلصين ، ولم تفلح الضجة الكبيرة التى قام بها الشعب فى وجه هذا المشروع الخطير ، فاضطر حافظ إلى الملاينة قليلا بعد أن أصبح القانون ضربة لازب ، وبعد أن حاربه فى جد وصرامة فقال .

لمعرفة الآخرين لذلك الصنيع .

تلك هى نظرة القرآن فى موقفه من حديث القوم عن الأساطير ألمت بها وشرحتها كما فهمتها وأرجو أن أكون فى هذا الفهم من الموفقين .

والآن أفلا يزال الأحدان الفاضلان عند رأيهما من أنا نستحق أن نتهم بالكفر ونرمى بالزندقة ونوصم بالألحاد .

اللهم إنك لتعلم أنا نحرص على فقه كتابك المعجز ووحيك العربى المبين .

واللهم إنك لتعلم أنا قلنا ما قلنا طلباً للفهم الدقيق لآياتك وحباً فى الوقوف على سر من أسرار إعجازك .

واللهم إنك لتعلم أنا نؤمن إيماناً قوياً جازماً بصدق قولك المنزل على نبيك المرسل [ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون] .

ولقد صدقت يا الله فانتصر الحق وآمن بالرأى من لم يؤمن به من قبل ، والسلام .

محمد أحمد خلف الله
كلية الآداب — جامعة فؤاد

كانت تواسينا على آلامنا   صحف إذا نزل البلاء وأطبقا
فإذا دعوت الدمع فاستعصى بكت   عنا أسى حتى تغص وتشرقا
كانت لنا يوم الشدائد أسهما   ترمى بها وسوابقا عند اللقا
مالى أنوح على الصحافة جازعا   ماذا ألم بها وماذا أحدقا
قصوا حواشيها وظنوا أنهم   أمنوا صواعقها فكانت أصعقا
وأتوا بحاذقهم يكيد لها بما   يثنى عزائمها فكانت أحذقا
كانت صماما للنفوس إذا غلت   فيها الهموم وأوشكت أن تزهقا
كم نفست عن صدر حر واجد   لولا الصمام من الأسى لتمزقا

وفى النهاية قد لجأ حافظ إلى الصراحة التامة فى موقفه بعد أن عيل صبره، فحذر المصريين من بسمات خورست وندد بوعوده الكاذبة، وارتاب فى ملاينة هذا الثعلب الماكر فهو يقول فى شأنه.

فكم ضحك العميد على لحانا   وغر سراتنا منه ابتسام
فلا تثقوا بوعد القوم يوماً   فإن سحاب سادتهم جهام
وخافوهم إذا لانوا فإنى   أرى السواس ليس لهم ذمام
فما ســادوا بمعجزة علينا   ولكن فى صفوفهم انضمام

وقد أراد الله لمصر بعض الخير فات السير خورست واستراح الشعب من حبائله الصائدة، ولكن حافظا لم ينتظر فى دنيا الحرية كثيراً بعده حتى يواصل حملاته العادلة، بل انتقل إلى العمل فى دار الكتب المصرية، وللوظيفة قيود تكبل بها الألسنة الصارخة لا سيما إذا كان صاحبها ذا ضرورة إلى ما تدره عليه من أجر، فألجم الشاعر فاه عن السياسة، وحطم قيثارته الشادية، وتلك خسارة فادحة غرمها حافظ أكبر غرم، كما قابلها عشاق أدبه الرفيع بهمّ زائد وأسف وجيع.

وقد يقول قائل: لماذا أمسك حافظ وحده عن النظم السياسى كموظف فى الحكومة؟ مع أن زملاءه الموظفين من الشعراء النابهين كعبد الحليم المصرى، وأحمد نسيم، ومحمد الهراوى، وعبد المطلب قد واصلوا العزف على أوتارهم السياسية، دون أن يقف فى طريقهم واقف؟! وأنا أقول إن الرقابة كانت موجهة إليه أكثر من غيره لما يعرفه أولو الأمر من تأثيره القوى فى الجمهور، وإلا فهل كان من المعقول أن تندلع الثورة المصرية، وينفى الزعماء، ويعتقل الشباب، وتنشق الكلمة وتختلف الأحزاب؛ وشاعر النيل ساكت عن ذلك كله بإرادته ومشيئته! كلا ثم كلا! بل إنه نظم قصائد حية، ونشرها غفلا من إمضائه كما وزعت بعض المنشورات السياسية تحمل قلائده اللامعة، وجميع ما قاله فى هذه الآونة لم ينشر على الناس عامة إلا بعد استقرار الحالة فى مصر، وقد أشار إلى ذلك ديوانه فى مفتتح بعض القصائد، كما أنه كان ينتهز الظروف التى تحميه من العقاب فينفض ما فى وعائه، واقرأ قصيدته التى قالها فى تهنئة سعد زغلول بنجاته سنة ١٩٢٤ فستجده يقول.

لا تقرب التاميز واحذر ماءه   مهما بدا لك أنه معسول
الكيد ممزوج بأصفى مائه   والختل فيه مذوب مصقول
كم وارد يا سعد قبلك ماءه   قد عاد منه وفى الفؤاد غليل
القوم قد ملكوا عنان زمانهم   ولهم روايات به وفصول
ولهم أحابيل إذا ألقوا بها   قنصوا النهى فأسيرهم مخبول
ولكل لفظ فى المعاجم عندهم   معنى يقال بأنه معقول
نصلت سياستهم وحال صباغها   ولكل كاذبة الخضاب نصول
جمعوا عقاقير الدواء وركبوا   ما ركبوه وعندك التحليل

وهذه نفثة حارة ترى لها نظائر عديدة فى مراثيه الخالدة لزعماء النهضة المصرية، وهى — على كل — قد أفصحت عن لواعجه الكظيمة، وإن لم تكن الغرض الأول الذى قصد إليه الشاعر، وإنما مهد لها فأحسن التمهيد.

هكذا وقد مكث حافظ فى منصبه الحكومى عشرين عاماً خسر فيها الشعر السياسى كثيراً من درره، ثم أحيل إلى المعاش قبل وفاته بأربعة أشهر فقط، وما كاد يستنشق نسيم الحرية حتى نظم فى هذه الأيام المعدودة قصائد عامرة من قوله البليغ، ندد فيها بأساليب الدخلاء، وصنائعهم من المصريين، وقد بلغت إحدى قصائده مائتى بيت!! ولو مد الله فى أجله لبل الصدى ونقع الغليل على أنه — رحمه الله — لم يتمهل مطلقاً فى شعره الأخير، بل كان ينظمه فى سرعة تشبه الارتجال، كقوله فى مخاطبة المندوب السامى.

ألم ترق الطريق إلى كياد   تصيد البط بؤس العالمينا
ألم تلمح دموع الناس تجرى   من البلوى ألم تسمع أنينا

مولد شـــــاعر

للآنســـة نعمت فؤاد

أرى خلل الرماد وميض نار ... وأخشى أن يكون لها ضرام
فإن لم يطفها عقلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام
أقول من التعجب ليت شعرى ... أأيقاظ أميـــة أم نيام
فإن كانوا لحينهمو نياما ... فقل قوموا فقد حان القيام

بهذه الأبيات سار كتاب نصر بن سيار والى خراسان إلى مولاه أمير المؤمنين مروان بن محمد . وكانت الدعوة للرضا من « آل محمد » تسير بنجاح فى أنحاء دولة العروبة لاسيما فى خراسان موطن الفرس الذين تغلى صدورهم حقدا على بنى أمية . ألم يدعوهم « الموالى » إدلالا عليهم بالسيادة العربية ؟ ألم يقصوهم عن المناصب الرفيعة ضنا بها على غير العرب ؟ لينتقم الفرس إذن وليهتبلوا الفرصة وها هى تى قد حانت . إن العرب منقسمون على أنفسهم إلى هاشميين وأمويين كما انقسموا فى السقيفة إلى مكيين ومدنيين فليضربوا هؤلاء بهؤلاء عسى أن يذهبوا جميعاً فينفسح الطريق لعودة المجد السليب .

بث الفرس الدعوة لبنى هاشم عساهم إن آل الملك إليهم عرفوا لهم صنيعهم وأثابوهم عليه نفوذا حرموه ، وجاها ولى حين آذن القدر شمسهم بالمغيب .

وانضم إلى الفرس ربيعة واليمن ولم يبق مع بنى أمية إلا المضريون . وكان مروان خليقا بالقضاء على الثورة والانتصار عليها كما انتصر معاوية على أبطال صفين لولا أنها اندلعت فى كل مكان فهى تمور .

إذن حان القيام كما قال نصر بن سيار فأرسل الخليفة الجيوش إلى أطراف الدولة لتطفىء الفتنة وتقر السلام .

وسار الجيش الرئيسى إلى خوزستان جيش لهام لا تتبين العين جنوده من العثير المثار . وما إن دخل الأهواز عاصمة خوزستان حتى ألقى الرعب فى القلوب قبل أن تنتضى السيوف وتفوق السهام وتشرع الرماح .

وسر الخليفة إذ اطمأن على هيبته وسلطانه فى ملكه وفرح الجنود إذ كفاهم الله القتال . ورجع القائد بجيشه بعد أن ترك قوة تقمع من تحدثه نفسه بالوثوب .

ألم تخبر بنى التاميز عنا ... وقد بعثوك مندوبا أمينا
بأنا قد لمسنا الغدر لما ... وأصبح ظننا فيكم يقينا
كشفنا عن نواياكم فلستم ... وإن برح الخفاء محايدينا
ضربتم حول قادتنا نطاقا ... من النيران يعيى الدارعينا
على رغم المروءة قد ظفرتم ... ولـكن بالأسور مصفدينا

ولعل القارىء قد نظر من وراء هذه الأبيات الحزينة روح قائلها اليائس ، ولا جرم فهى زفرة حارة صعدت من صدر ضيق يشعر أنه فى عهده الأخير

ولا نختم هذا البحث دون أن نشير إلى الأبيات التى مدح بها حافظ أخلاق الانجليز أثناء قيام الحرب العالمية الأولى فقد خدع رحمه الله — وكان طيب القلب — بما كانوا يصفون به أنفسهم من دفاع عن الحرية ، وتضحية فى سبيل المبادىء الإنسانية ، فقال يخاطب السلطان حسين كامل .

ووال القوم انهمو كرام ... ميامين النقيبة أين حلوا
وليس كقومهم فى الغرب قوم ... من الأخلاق قد نهلوا وعلوا
فا درهم حبال الود وانهض ... بنا فقيادنا للخير سهل

وما لبث الشاعر أن أدرك خطأه الواضح . حيث صدق دعايتهم الجوفاء ، فانبرى يشهد بأخلاقهم مستغفرا عن ذنبه السالف وآخر ما قاله فى ذلك .

لاتذكروا الأخلاق بعد حيادكم ... فمصابكم ومصابنا سيان
حاربتمو أخلاقكم لتحاربوا ... أخلاقنا فتألم الشعبان

ثم استسلم رحمه الله إلى نومه الطويل

(وبعد) فقد كان الأولون من المؤرخين ، يذكرون الحادث السياسى مشفوعا بما قاله الشعراء فيه ، وقد رأينا كثيراً ممن أرخوا فترة الاحتلال الداجيه قد تنكبوا عن هذا الطريق ، فلم يسجلوا ما ناح به الشعراء فى هذه المحنة القاسية ، على ما فيه من ترويح للباحث ، وإمتاع لروحه الملول ، ولك أن تقدر سرور القارىء حين يرى بجانب تاريخ كرومر نفثة حارة لشاعر قومى كمحمد حافظ ابراهيم .

(الكفر الجديد)

وكان « هانيء » ممن بقي في الأهواز من الجنود . وتاقت نفسه يوما إلى الخلوة في ناحية من المدينة يتملى الذكريات ويحيا في الشام بفكره ساعة أو بعض ساعة يستجلي منازل صباه ، ومغاني هواه ، وتربة آبائه وأجداده عل الذكرى تفيض على قلبه سلاما يهدهد حنينه ويطفئ لوعته .

وأطاعت « هانيء » قدماه حتى انتهى إلى النهير الذي تقع عليه مدينة الأهواز والذي يصب في شط العرب . فرآه أبيض الصفحة صافيا تهامس مويجاته وبعيل النسيم بأغصان الشجر عليها فتخالها تسترق السمع .

ويسير « هانيء » مع النهر في اتجاهه مأخوذا بسحره ، طروباً من الأغنية الرائعة التي تتألف من هسيس النهر ، وهفهفة النسيم ، ومنامسة الشجر .

وسار « هانيء » بضع خطوات ثم وقف فجأة مبهوتا أو كالمبهوت ! أي فتاة هذه التي راعته هذه الروعة ؟

إنها فارسية صغيرة لم تتجاوز بعد عامها العشرين قد أخذت مكانها تحت شجرة فينانة على شاطيء النهر . وكانت بنت الفرس تتألق في ثوب أرجواني جميل قد أرخت غدائر نصف منحلة كليل امريء القيس إذ كانت تهدل على كتفيها تارة ويلقي بها النسيم على صدرها تارة أخرى في حركة تشبه موج البحر .

ورجعت الفتاة إلى قريتها « استانة آثار » ومعناها بالفارسية باب النهار وصاحبنا في إثرها لا يلوي على شيء وهناك عرف أن اسم فتاته « جلبان » ومعناها بلغة قومها « غصن الورد » .

لكأنما وضع لها هذا الاسم الجميل بعد ما تفتحت من كمها فهذه القامة الفارعة أشبه شيء بالغصن الريان ، وهذا الوجه المشرق الذي يتورد إلى كل من لاقاه هو في جمال الورد يجذب إليه الفراش من كل لون .

ولم يمض على زواج « هانيء » من جلبان شهور حتى دعي إلى الانضمام إلى الجيش المحارب .

ولبى الفتى العربي داعي الوطن وداعي العصبية التي طالما نخرت على الفرس .

والتقى الجيشان عند نهر الزاب وكان قتال ... قتال رهيب يحضأ في ناره الفرس الذين هزمهم العرب في القادسية واليرموك فأرادوه ثأراً يبريء النفوس التي تتمزع من الغيظ ، ويغسل العار .

وعثر جد أمية لما أراد الله أن يذهب بدولتهم وطاحت الحرب بمروان ورجع جنود الأمير عندما أصبحت المقاومة عديمة الجدوى وآب هانيء إلى عروسه كاسف البال تمس النفس لهزيمة العرب فوجدها جذلة لظفر الفرس فخورة بنصرهم .

ولما كان القلب لا يعرف الجنس في هواه فقد عاش الزوجان في سعادة لا يرنق صفوها كدر .

وولد لهما في دولة العباس ابنهما « الحسن » الذي عرفته قصور الرشيد والأمين نديما شاعراً ، وعرفته بغداد طائرها الغرد الذي طالما شدا بحضارتها وشاد بمجدها وصور نعيمها ، وغنى مجالي أنسها . وعرفته البصرة شاديا للعلم والأدب والشعر في مسجدها ومربدها ثم عالما شاعراً ، وعرفته مصر شاعراً نخلا يفد عليها مادحا للخصيب مدحته البلقاء التي مطلعها :

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

تلك القصيدة التي عارضها شاعرنا البارودي بقصيدته التي مطلعها هذا البيت الرقيق الشجي :

تلاهيت إلا ما يجن ضمير وداريت إلا ما ينم زفير

* * *

هذا هو الحسن بن هانيء الذي كنى نفسه أو حمله أستاذه خلف الأحمر على التكنى بكنى اليمن فتكنى أبا نواس .

نعمت فؤاد

من وراء المنظار

عجول وأناسي ...!

— يا شيخ ... يا معلم — صلى عا النبى !

— أصلى عا النبى إيه ... اسكت يا عم خليك فى حالك ... !

صاح بالعبارة الأولى رجل فى المدخل الشمالى لميدان السيدة زينب ، ينادى بها فظاً غليظ القلب من بنى آدم كان بالليل يسوق أمامه عدداً من العجول الصغيرة قد سلكها جميعاً فى حبل ، وصار يدفعها بإحدى يديه فى غير هوادة إلى حيث تذبح ، ويهوى على أجسامها لايبالى أين يقع ضربه بحبل غليظ معقد كلما أبطأت ، أو على الأصح كلما جهدت وتقطعت أنفاسها فاضطرها الإعياء والكلال إلى الإبطاء ...

ورد ذلك الفظ فى غلظة ووحشية يطلب إلى من يسأله الرفق أن يبقى فى حاله فلا يتدخل فى شأنه ؛ وما ملك هذا إلا أن يحوقل ويستغفر الله ويستعيذ به ، ويركن بعد لسانه إلى أضعف الإيمان !

ونظرت فإذا بذلك الغليظ الفظ يزيد الضرب بحبله على أجسام هاتيك العجول الجاهدة ويزيدها دفعاً ولكما ؛ ووقع أحدها على الأرض فجذب الصف كله وجذبه الصف فانقلب على ظهره وزعق زعقة مثلت لى ألمه بصورة لم يكن ليمثلها لى كلامه لو أنه تكلم ! ... زعقة أشبه بزعقة الآدمى يتمثها منه الألم وفمه مزموم ، فهى بين حنجرته وخيشومه ... وكأنما يقول العجل الصغير آه ... وخيل إلىّ كأنما يدعو العجل ضاربه أن يصلى على النبى ! وأهوى الغليظ الجاف بحبله المعقد على العجل المسكين وحده ، وقد تمدد على جنبه وهو يحاول أن يضع صدغه على الأرض فتجذبه العجول وقد اضطرب نظامها ، وإن جسده كله لينتفخ ويهبط فى سرعة من فرط ما يلهث ، وإنه ليحاول النهوض من ألم الضرب فما يزيد على أن يبسط أرجله ويثنيها فى الهواء تارة ، وعلى الأسفلت الجامد جمود قلب هذا الغليظ تارة أخرى ... ثم جذبه الجلف من إحدى أذنيه ومن ذيله جذبة قوية وركله ركلة شديدة ، فوقف على رجليه يلهث ، ومشى مع بقية العجول ، وصاحبه الفظ يمسك بذيله مخافة أن يقع ثانية على الأرض ... !

وتحرك قلبى لما رأيت ، ولكننى لم أستطع أن أصنع شيئاً ، ولا يعيبن القارئ علىّ أضعف الإيمان ، فالرجل غليظ وحبله أغلظ ، وما تعلمت الملاكمة ، أو كانت لى حتى بمخاطبة الغلاظ الجهال طاقة ... ولم يكن على مقربة منى شرطى أستعينه ... شرطى ؟ والله لو وجد لسخر منى أن أدعوه إلى مؤاخذة الرجل على صنعه ، ولظن بعقلى الظنون ...

وأعيذك أيها القارئ أن تعجب أن يتحرك قلبى لمثل هذا المنظر ، فما أحب إلا أن تكون رفيقاً ، وإذا أنت ترفقت بالعجول كنت حرياً أن ترفق ببنى آدم ... ولقد تداعى لهذا المنظر الأليم فى ذهنى معنى ... بل معان ... فكم من الآدميين من يرتبطون هكذا على خسف ويسقطون من كلال وإعياء ، وعلى جنوبهم وظهورهم تهوى أيد خفية بما هو أقسى من الحبل المعقد الغليظ ... أجل كم من آدمى فى الأصفاد والأغلال وإن لم تعض بساقيه سلسلة ، أو يخنق عنقه غل ... كم من البشر من يساقون كما تساق هذه العجول ليكدحوا فى لظى الصيف وفى زمهرير الشتاء كى يسعد فريق مثلهم من بنى آدم بطيبات الحياة ، وأى فرق لعمرى بين هذا وبين الرق ؟ !

آه لقلبى ... وأف لمنظارى ... يا عجبا ! ما أسرع ما تمثل لى هذا المعنى الذى طاف بخاطرى ، فإذا هو صورة مجسدة تدب على الأرض ، فها هو ذا عسكرى غليظ شديد يسوق أمامه رهطاً من الغلمان ، قد ربط ذيل هذا فى ذيل ذاك ، أو يد هذا فى يد جاره ، إن لم يكن لهما ذيلان يربطان ، وقد التقطهم جميعاً من الشارع ، وكان ذلك فى نفس الميدان من مدخله الجنوبى ، ولا بد أن قطيع العجول قد مر برهط الصبية قبل أن تقع عينى عليهم بدقيقتين أو ثلاث !

وأخذ العسكرى الغليظ الفظيع يهوى بكفه الثقيلة المعقدة بما يتحلى به من خواتم غليظة على قفا هذا الصبى الهزيل مرة ، وعلى قفا ذاك المريض النحيل مرة ، والويل لمن يلتفت وراءه من

الصبية ؛ وكان هؤلاء المساكين كلما سمعوا وقع الكف الثقيلة المقددة على قفا أحدهم ، رفعوا أكتافهم ونزلوا برؤوسهم ليخفوا أقفيتهم ، والرعب ملء جسومهم ، وحسبهم ما هم فيه من جوع وعري ومرض وشقاء ...

ولم أطق صبراً فدنوت من هذا العسكري العاتي ، فليس في يده حبل أخاف منه ، وإنه لحري أن يغره تدخلي وجرأتي فيحسبني من رجال النيابة مثلا أو من أولي الجاه على أي حال وقلت في لهجة الآمر لا في لهجة المستفهم « لا تضرب هؤلاء المساكين يا شاويش » .

وصدق ظني فقد رفع العسكري يده إلى رأسه بالتحية ، وراح يفهمني أن هؤلاء هم سارقو الجيوب وخاطفو الحلي ... و ... و ... فقاطعته وأنا أوهمه أني أحفظ رقمه قائلا « لا تضربهم مرة ثانية » ونظر إلى هؤلاء المساكين وقرأت في كل وجه من وجوههم الشاحبة معنى أسمى من أن أصفه بالشكر ... ووقعت نظراتهم من نفسي موقعاً لن ينهض لتصويره أبلغ الكلام ...

وتدخل شاب حاسر الرأس عليه حلة أنيقة وتحت إبطه مجلات وكتب فخاطب الشرطي في عنف قائلا : « ألك أولاد يا شاويش ؟ أترضى أن يعامل أولادك هذه المعاملة ؟ » ثم أدار إلى الحديث قائلا « ومع ذلك فنحن كما نزعم أمة متمدنة ... في أي بلد متمدن يوجد مثل هؤلاء المساكين في الشوارع على هذه الصورة ؟ وأين ما نسمع عنه من أسماء المبرات وجمعيات الإحسان والخير ؟.. لقد مر بي منذ لحظة قطيع من العجول يدفعه فلاح عات كما يدفع هذا الشرطي الصبية فاشمأزت نفسي لذلك المنظر وتكدر خاطري ، ثم ما لبثت أن رأيت هؤلاء المساكين.. ألا إن بيننا وبين الرقي أجيالا وأجيالا وإنما تخدعنا العمارات الضخمة والسيارات الفخمة والمواسم الكبيرة » .

وانطلق الشاب وقد غاب عن بصره وبصري الشرطي والغلمان ، وقلت لنفسي ما أوسع الفرق بين مصير العجول ومصير الصبية ، فإنما تساق هذه العجول إلى حيث تريحها سكين الجزار ، ويساق هؤلاء الصبية إلى حيث ينتظرهم العذاب الأليم !

الخفيف

رسائل حائرة :

الرســـالة الثالثة ...

للأستـــاذ ابراهيم محمد نجا

حسبتك تعرفين دواء روحي | وخلتك تعطفين على جروحي
ولكني وجدتك لم تبالي | بما يلقى أخو القلب الطليح !
بثثتك ما ألاقي من زماني | وبحت بما لديَّ ؛ لكي تبوحي
فكان الصمت والإعراض رداً | أنض مضاجعي ، وأمض روحي
عرفتك ... فاذهبي أو كفاك أني | من الآلام كالعاني الطريح
سأحيا طول أيامي وحيداً | على الحرمان ، واليأس المريح
سأحمل هذه الأيام تهوى | هُويَّ الصخر من فوق السفوح
وأعزف للفناء نشيد روحي | ليحملها إلى الأفق الفسيح !
فإن حمل الفناء حطام روحي | فلا تبكي عليَّ ، ولا تنوحي
وإن وارى الثرى ذرات جسمي | فقري عند ذلك ، واستريحي
ولا تنسي ورودك فوق رمسي | ولا تبكي هناك على ضريحي
فأنت قتلت آمالي جميعاً | وبعثرت الشباب بكل ريح !
وأنت جرحتني في القلب جرحاً | أراه غير مندمل القروح
ولو أني وصفتك في قصيدي | بما تدرين من وصف فصيح
لقالوا إنني إياك أعني | فمن باغ عليك ، ومن نصيح
ولكني سأكتم ما بنفسي | وأمنعها من القول الصريح
واحفظ في حنايا القلب شيئاً | بعثت به من الوطن الجريح !
رسالتك التي صورت فيها | تعارفنا على رغم النزوح !
وما أنا قد نسيت جراح قلبي | ولا أنا عن جفائك بالصفوح
ولكني أرق لكل أنثى | وإن جارت على الأمل الطموح !
وأدفع عن صباها كل سوء | وأحمله بقلب مستريح
سأنسى أنني أفضيت يوماً | بأسراري إلى قلب جموح
سأنسى أنني منيت قلبي | بأن يروى من النبع الشحيح !
سأنسى ... ثم أذكر أن يوماً | سيأتي قد تطيب به جروحي

ابراهيم محمد نجا

صوت من الشمال ...

للأديب أحمد هيكل

أشقاءنا هذى لحونٌ من الخلد   وشعرٌ كأنفاس الأزاهير والورد
وليست لحونى رجع ناى وإنما   صدى نبض مصر بالمحبة والود
وما هو شعر بل قلوب تجمعتْ
أكاليل من آل الشمال لكم عندى
تحايا أشقاء تناهى حنينهم   فأضحوا على شوق وباتوا على سهد
تحايا ظماء ربُّهم أن يقبلوا   أشقاءهم ألفاً على الثغر والخد
تحايا اللاهبين الذين قلوبهم   تكنُّ لكم حبا هو النار فى الزند
تحايا الوفيين الذين رجاؤهم   تفيؤكم ظل الرفاهة والسعد
وآمالهم أن تبقوا الدهر إخوة   وغاياتهم أن تبلغوا ذروة المجد
أشقاءنا يا من بلادى بلادكم   وخالكم خالى وجدكم جدى
ويا من رآنا الدهر شعباً موحداً   على حين كان الدهر يلعب فى المهد
ويا من توحدنا : دماء وألسنا   ودينا نُهينا فيه عن فُرقة تردى
ويا من سقانا النيل ماء ووحدة   ستبقى على رغم الدسائس والكيد
فهيهات أن يقووا على فصم عروة   تناهت بها عقدا يد الأحد الفرد
أشقاءنا إنا على العهد لم نزل   وإيماننا أن الجنوب على العهد
فنحن وأنتم مثل جسم وروحه   يواريهما التفريق فى ظلمة اللحد
ونحن وأنتم كالعيون بياضها   بغير سَواد ليس يبصر أو يهدى
أشقاءنا إن الأفاعى توافدت   علينا من «التاميز» سافرة القصد
خذوا حذركم فاللدغ منها سجية   وإن خادعت باللين فى لمس الجلد
خذوا حذركم لا تتركوها سلاسلا
مسممة حول الرقاب وفى الأيدى
خذوا حذركم لا تتركوها مقارضاً   فتشطرنا شطرين كالقوم فى الهند
خذوا حذركم لا يقرب النيل سمها .
ليبقى على الأحقاب أحلى من الشهد
فنرشف منه السلسل العذب إخوة
يظللنا تاج على مفرق المجد

أحمد هيكل

البنفسج

للأستاذ محمود عماد

لك يا بنفسج زُرقة   عينى إليها تستريحْ
من زرقة البحر استعير   تَ أو من الجوِّ الفسيحْ
أو من عيون الراهبا   تِ الشقر ترنو للمسيح
كم قلتَ رغمَ لسانك المقو   د من قول فصيح
وأريجك الوسنانُ ما   أحناه فى صدرى الجريح
مالى إذا أستافه   يعتادنى خدر مريح
يسرى بروحى بين أو   دية من الأحلام فيح
فأخالنى البدوىَّ طا   لع مرج قيصوم وشيح
أو راوحته من حمى   ليلاه عند الفجر ريح
تدرى بسرى يا بنفـ   ـسج من صباى وما تبوح
كنتَ الهدية والتحيـ   ـة فى الدنو وفى النزوح
إنى كبرتُ ولم تزل   بشبابك الغضِّ الصبيح
تهواك كل مليحة   وشذى هواك بها يفوح
وبصدرها العالى محلك حين تغدو أو تروح
إذ أنت فوق الصدر ريحا   ن وطى الصدر روح
عجباً تصبيت المسيح وما تصباك المليح
سيماك تشمر بالوقا   رِ الجم والعقل الرجيح
يا راهبَ الزهرِ الوقو   رَ عليه قائمة المسوح
فى ديره يرعىَ عذا   رَى الوردِ دامية الجروح
هاتِ اسقنى من خمر دير   ك فى الغبوق وفى الصبوحْ

محمود عماد

الأدب والفن في أسبوع

الناصر :

مسرحية شعرية وضعها الأستاذ عزيز أباظه باشا ، وأخرجها الأستاذ زكي طليمات ؛ وافتتحت بها الفرقة المصرية موسم التمثيل بالشتاء على مسرح الأوبرا الملكية .

تتكون المسرحية من أربعة فصول ، يظهر على المسرح فى الفصل الأول عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموى بالأندلس ، وقد عقد مجلساً حضره الوزراء والقواد والعلماء والأمراء والشعراء ، لاستقبال الوفود التى بعث بها إليه ملوك البلاد الأوربية ، ليخطبوا وده ويؤكدوا حسن علاقاتهم به ، ولبعضهم إلى هذا مطالب كإيفاد طبيب معالج أو قائد مدرب يشبه ما يقال له اليوم « البعثة العسكرية » أو « الخبراء العسكريون »

وتتلخص حوادث الفصول الثلاثة الأخر ، فى علاقة حب بين « الحكم » ولى عهد الناصر وولده الأكبر وبين فتاة من نسل أحد ملوك اسبانيا الذين تغلب عليهم الناصر ، وهى تعيش فى كنف الخليفة كابنة له وتدعى (شفق) وتحاول جارية أخرى اسمها (منى) من بنى جلدتها أن توغر صدرها على الدولة العربية لتشاركها فى العمل لصالح قومهما بالتجسس ونقل أنباء جيش الناصر إليهم ، فمرة تنصاع لها ، ومرة تغلب جانب الوفاء لحبيبها ولى العهد وأبيه الخليفة الذى يتبناها ويرعاها

وفى خلال ذلك تظهر منافسة بين ولدى الناصر : الحكم وعبد الله ، لأن الثانى ينفس على أخيه إيثار أبيه إياه وتقديمه عليه ، فلا يجد وسيلة لنقل ولاية العهد إليه إلا الاتصال بدعاة الفاطميين فى الأندلس الذين ينشرون القصر لملاقاة عبد الله ، فتكشف أمرهم « الزهراء » الجارية التى فتنت الناصر وملكت هواه ، فتحاول إصلاح عبد الله ، ويبلغ الأمر مسمع الخليفة فيأمر بقتله . أما الجاريتان شفق ومنى فيجرى الأمر بينهما على ما تقدم ، حتى يبلغ (الزهراء) أن أخبار الجيش تتسرب إلى الأعداء ، فتبلغ الناصر ، فيهم باتهام ولده الحكم ولى العهد وقائد الجيش ، ولكن تسرع شفق فتعترف بأنها الخائنة التى استغلت حب الحكم فى انتزاع الأسرار منه وإيصالها إلى الأعداء ، فيوبخها الناصر ، ويبكتها الحكم ، ثم يتركانها تبكى وتنتحب ... فتأتى إليها منى ، ويحتدم الجدل بينهما ، شفق تبدى الندم على الخيانة ، ومنى تحاول أن تغير شعورها ، ولكنها تيأس منها فتطعنها بخنجر وتتركها تتلوى وتهوى ... فيقبل الحكم ويبدى جزعه ، ويأتى الناصر ، ويستحث الحكم على النهوض للسير بالجيش المعبأ إلى ميدان القتال ، فيتثاقل ، فيؤنبه الناصر ويبدى استعداده لقيادة الجيش بنفسه وهو فى الشيخوخة ، فينهض الحكم من جوار جثة حبيبته ، ليذهب إلى ملاقاة الأعداء . وتلتق الستارتان .

فترى من حوادث المسرحية أن الخيط الذى ينتظمها واه ، وهذا الخيط هو حب الحكم لشفق ، والظاهر أن الهدف عرض صفحة مشرقة من التاريخ العربى الإسلامى فى الأندلس ، فيمكن أن يقال إن مسرحية « الناصر » هى مجموعة من المناظر المتخيلة فى عصر عبد الرحمن الناصر ، ويكون هذا القول أدق من أن تكون قصة أو رواية ذات حبكة ، ولها محور تدور عليه الوقائع التى تعبر عن الغرض منها ، فهى من هذه الناحية تختلف عن مسرحيتى « قيس ولبنى » و « العباسة » اللتين وضعهما المؤلف من قبل .

وكذلك تختلف مسرحية « الناصر » عن المسرحيتين السابقتين فى أسلوب الحوار ، فقد عدل الشاعر فى هذه المرة عن الأسلوب الخطابى المطول إلى المخاطبة بالقدر الطبيعى المعقول وإلى اللباقة وبراعة اللفتة ، مما بعث الحياة فى الحركة على المسرح . وقد تجلت إنسانيته فى المواقف التى أنطق فيها أشخاصه بالألم من ألوان فى الحياة يبدو فى ظاهرها النعيم ، كحياة الخصى فى القصور الخالية من الزوجة والأبناء ، وكعيش الجوارى فى ظلال النعمة السابغة ، محرومات من الحرية والكرامة ... وسمت شاعريته على لسان « شفق » وهى تتذكر معاهد صباها فى ديار قومها وتقارنها بحياة الذل والإسار فى ديار الغالبين ، وأجادت أمينة رزق فى تمثيل ذلك كل الإجادة .

والمسرحية جيدة من حيث هى شعر ، وقد نجحت بعض

النجاح فى تحقيق الغرض منها ، وهو إظهار صفحة مشرقة من مجد العرب بالأندلس ، ولم أقل بتمام نجاحها فى هذا ، لأنها لم تستكمل عرض عناصر ذلك المجد ، فقد كان عصر عبد الرحمن الناصر العصر العربى الذهبى بالأندلس الذى يماثل عصر الرشيد بالمشرق ، ولم تقم «ذهبية» ذلك العصر على القوة العسكرية فحسب بل قامت ، إلى جانبها ، على التقدم فى العلوم والفنون والآداب ، والحديث عن شغف الناصر بها وارتقائها على يديه مأثور مستفيض .

ولكن مسرحية «الناصر» قليلة الحظ من هذه العناصر ، وبعض هذا القصور يرجع إلى الإخراج وبعضه إلى التأليف ، فقد كان يمكن أن يعرض شىء من النقوش والتماثيل التى كانت يتحلى بها قصر الزهراء والقصر الكبير فى قرطبـــة ، والتى أفاض المؤرخون فى الحديث عنها والإشادة بفخامتها ودقائق صنعها .

وقلّت الموسيقى ، وأهمل الغناء كل الإهمال ، وقد قدمت إحدى الجوارى المهداة إلى الخليفة ووصفت بأنها تجيد الضرب على الطريقة العربية ، وكانت الزهراء مغنية ، ولكنا لم نسمع من الزهراء ولا من تلك الجارية شيئاً ... هذا واسم الفرقة التى تقدم المسرحية «الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى والغناء !» .

وقد أُثر عن عبد الرحمن الناصر الشغف بالعلوم والولع باقتناء الكتب ، ولكنك تراه على مسرح الأوبرا يتلقى هدية من ملك الروم هى كتاب فى النبات ، ولا يظهر من الاهتمام أكثر مما تظهر وأنت تساوم أحد الباعة الطائفين بالكتب على المقاهى ..

وقد وقع المؤلف أو المخرج ، لا أدرى أيهما ، فى أمر شائع فى التمثيل المسرحى والسينمى عندنا ، وهو تهيئة (أدوار) لبعض الممثلين والممثلات اشتهروا بها وعرفوا بالظهور فيها ، (والدور) هنا أعد لأمينة رزق ، أعد لها لكى تبكى وتصرخ وتنتحب .. ندماً على الأثم الذى اقترفته . وقد بالغت فى ذلك حتى جاوزت الحد

وقد نقل إلينا التاريخ من وصف عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، أنه كان تقياً ورعاً ، ولكنا رأيناه على مسرح الأوبرا على خلاف ذلك ، رأيناه ينازل الزهراء جارية أبيه منازلة جريئة حتى اضطرت إلى زجره والعنف فى مخاطبتـه ، ورأيناه يناصب أخاه ويعارض فى ولايته للعهد ، ويخرج عن طاعة أبيه ، دون أسباب تتفق ووصف المؤرخين له .. ويبدو لى أن المؤلف كان هنا فى مأزق ، لأنه مضطر بحكم الغرض أن يظهر شأن الناصر فى مظهر حسن ، وهذا المظهر لا يتفق مع إيراد أسباب معقولة للخروج عليه ، فضحى بعبد الله !

وقد رأيت فى آخر حوادث المسرحية اعتراف «شفق» بجريمتها وهى نقل أسرار الدولة إلى الأعداء ، فلم يقبض عليها ، ولم يحقق أمرها ، ولم يبحث عمن تتصل بهم ، بل وبخها الخليفة وانصرف وعانها ولى العهد ومضى .. ثم طعنت بخنجر وأقبل ولى العهد ، فجمل يتوجع لها ويتفجع ، ويطيل فى التعبير عن ألمه وعاطفته بصوت جامد لا تخالطه نبرة حزن . . وكل ذلك دون أن يسألها عمن طعنها ودون أن يبحث عن القاتل الأثيم ، ويقبل الناصر ويرى القتيل ولا يسأل أيضاً ولا يبحث عن اليد الخفية المتصلة بالأعداء ! وتلتقى الستارتان ...

غزل علية :

قرأت فى العدد الأسبق من الرسالة مقال الشيخ محمد رجب البيومى الذى عنوانه «الغزل فى شعر المرأة» وهو المقال الأول فى هذا الموضوع الجدير بالبحث ، ويدل بدء تناوله للموضوع على ما يرجى من التوفيق فى السير فيه .

وقد وقفت فى هذا المقال عندما عرض لغزل علية بنت المهدى إذ قال إنها اقتدت بحميد بن ثور الهلالى فى التجائه إلى الكناية فى الغزل عندما تعذر عليه ، كما تعذر عليها ، الغزل الصريح ، ولذلك تنزلت ، كما تنزل ، فى السرحة ، قال الشيخ رجب : «فقد علقت (علية) غلاماً لها يسمى طلا ونظمت فيه من الرقائق الأنيقة ما هو جـدير بأمثالها من المثقفات الناعمات ، ولكن هرون يقف أمامها وقفة تحدى بها الفن تحدياً صارخاً ، فلجأت إلى التغزل فى السرحة مقتدية بحميد إذ تقول :

أيا سرحة البستان طال تشوقى   ومالى إلى ظل لديك سبيل »

فالشيخ رجب يرى أن علية تكنى بالسرحة عن طل ، وليس الأمر كذلك ، إنما صحفت «طل» بنقط الطاء فصار «ظل» وتشوقت إليه تحت السرحة ، قال أبو الفرج فى الأغانى :

« حجب طل عن علية فقالت وصحفت اسمه فى أول بيت :

أيا سروة البستان طال تشوقى   فهل لى إلى ظل لديك سبيل»

ومن صنيع علية فى مثل هذا أنها كانت تقول الشعر فى

غلام آخر يقال له « رشأ » وتكنى عنه بزينب . . . . ومن قولها فيه .

وجد الفؤاد بزينبا وجداً شديداً متعبا
أصبحت من كلفى بها أدعى سقيما منصبا
ولقد كنيت عن اسمها عمداً لكى لا تغضبا
وجعلت زينب سترة وكتمت أمراً معجبا

وقالت فى موضع آخر :

خبأت فى شعرى اسم الذى أردته كالخب. فى الجيب

سفير الفن المصرى :

أرسلت إحدى شركات السينما نسخة من الفلم المصرى (سفير جهنم) إلى نيويورك لكى يعرض هناك . وهذا حسن لأنه خطوة فى سبيل ما يرجى للفلم المصرى من الرواج فى البلاد الأجنبية وأخذ مكانه فى فن السينما العالمى .

ولكن ... قال النبأ : وعرض (سفير جهنم) على الرقابة الأمريكية لكى تجيز عرضه . وجلس الرقيب يشاهد الفلم ، حتى جاء منظر ترقص فيه هاجر حمدى ، فإذا الرقيب يصيح : قف . ثم يأخذ رقم المنظر . ويمضى العرض . . ومرة أخرى يصيح الرقيب : قف . ثم يأخذ رقم منظر آخر . ثم يأمر بقص المنظرين ويقول فى تقريره عن المنظر الأول : « يحذف منظر الفتاة التى ترتدى ملابس الرقص وترقص بطريقة فاضحة » ويقول عن المنظر الثانى : « تحذف الحركات التى تأتيها الفتاة بجسمها فى أثناء الرقصة »

وتحذف الرقابة الأمريكية المنظرين الفاضحين المخلين بالآداب واللذين مرت بهما رقابة الأفلام بالقاهرة مر الكرام ..

ورقابة الأفلام المصرية لم تخص (سفير جهنم) بالكرم والتسامح ، وإنما يعم « فضلها » سائر الأفلام . وليس الأمر مؤسفاً من ناحية الآداب العامة فحسب ، وإنما هو مؤسف أيضاً من الناحية الفنية .. ذلك أن القوم عندنا يسترون العجز فى الفن بالاستثارة المخزية والإضحاك الفارغ ، وإنك لتراهم يعلنون فيقولون شركة كذا تقدم فلاناً وفلانة فى فلم كذا .. فالمقصود هو فلان الذى يضحك (الطوب) وفلانة التى ...

أما الفلم وقيمته الفنية فشىء يأتى فى المرتبة الثانية على أحسن تقدير .

ولا أنسى منظر إحدى اللاهيات وقد قامت فى الحفل تؤدى مهمتها ، ولأمر ما لم تكن فى تلك الليلة (متجلية) فأعدى جودها الجمهور ، فران عليه الفتور ... وما أن حركت الفتاة جسمها فتثنت وهزت ما برز منها ، حتى صحا النائم وتنبه الغافل . وشارك الرقص التصفيق (على الوحدة !)

فهذه الفتاة لما لم تستطع التأثير بالفن لجأت إلى غير الفن مثلها فى ذلك مثل كثير من الأفلام !

وانظر . . . لقد كنا ندعو إلى عدم محاكاة الأجانب فى استهتارهم وتبذلهم ، فإذا نحن نسبقهم حتى يخشوا على أخلاقهم منا ! وإذا نحن وهم كما قال أبو نواس :

وكنت فتى من جند إبليس فارتقى بى الحال حتى صار ابليس من جندى

الراجع فى هبته :

قال النبى صلى الله عليه وسلم : الراجع فى هبته كالراجع فى قيئه .

وهذا التشبيه من روائع البلاغة النبوية ، ومساقه هنا الآن لمناسبة رجوع البدراوى باشا عن تبرعه بأربعين ألف جنيه لإنشاء معمل أمصال الكوليرا .

« العباس »

الكتب

١ — أنات غريب

تأليف الأستاذ حبيب الزحلاوى

يجمع صديقنا الأستاذ حبيب الزحلاوى بين موهبتين ، موهبة النقد ، وموهبة القصة ، والأولى عنده أقوى وأعنف ، ولهذا نجده فى قصصه كثيراً ما ينسى أشخاصه ويقف هو ليتكلم فينصح ويرشد ، ويوجه اللوم والنقد ، ويصف ويمعن فى الوصف ويستخلص لك العبرة والحكمة ، وهو فى هذا أشبه بالأستاذ ميخائيل نعيمه ، وكل منهما ناقد ، وكل منهما ناص ...

وهذا اللون من القصص لا يقف بالقارىء عند طرافة الحكاية والسرد القصصى ولكنه يقدم له زاداً موفوراً من المعلومات التاريخية ، والتجارب الخاصة ، والأوصاف التى تتعلق بالطبائع الإنسانية ومظاهر الحياة ، والنقد للأوضاع السائدة بين الناس ، فإذا ما تناول القارىء قصة من هذا اللون فإنه يخرج منها وهو يفكر فيما تضمنته من هذا أكثر مما يفكر فى طرافتها القصصية ورشاقتها فى السرد والحكاية ...

وهذه المجموعة « أنات غريب » للأستاذ الفاضل تشتمل على ثمانى قصص ، وكلها أو أكثرها من هذا اللون الزاخر بالذكرى والمرفة ، فقصة « الدميم » إنما هى درس فى القصة ، وقصة « ذكريات » إنما هى صفحة من تاريخ الثورة السورية وتصوير لذلك النضال المر الذى قام به شباب سورية لتحرير بلادهم من الاستعمار الفرنسى . وهكذا نجده فى قصصه يصعد بك إلى مراقى لبنان ، وينحدر معك إلى ربوع مصر ، ويطوح بك فى مطارح الغربة بأمريكا فيعطيك فى هذا كله صوراً دقيقة محشوة بالأوصاف والمناظر والسمات ، وهو يمزج هذا كله بمواضع الألم فى قلبه ، ومن هنا كانت قصصه « أنات » صادقة ، ولكن صديقنا الزحلاوى يبدو فى هذه الناحية قاسياً كل القسوة على قرائه ، ففى كل قصة من قصصه فجيعة تحطم القلب وتهز الكيان ... وجماع القول فى هذه المجموعة القصصية أنها ليست من القصص الذى يقرأ للتسلية وقتل الوقت ، ولكنها تقرأ فتترك أثرها فى نفس القارىء ، وتبقى فيعود إليها مرة ... ومرات ...

٢ — روح وجسد

تأليف الأستاذ عبد المعطى المسيرى

وهذه المجموعة « روح وجسد » لصديقنا الأستاذ عبد المعطى المسيرى ، وهى تشتمل على اثنتى عشرة قصة وقد أسماها باسم القصة الأولى منها على ما هو مألوف عند كتاب القصة .

والأستاذ المسيرى شاب وهبته الطبيعة أكثر مما وهبه الدرس ، وأخذ عن الحياة أكثر مما أخذه عن المدرس ، وهو يبدو كآلة موسيقية مشدودة الأوتار ، كلما نقرت عليها حادثة من الحوادث ، أوهبت عليها تجربة قاسية مع الناس والحياة ، رددت ذلك فى نغمة مشبوبة بالأسى والشجن ، وهكذا نجد القصة عند الأستاذ المسيرى ، فهو فى قصصه شاعر ، يهتز لكل ما يجرى حوله ، ويقع عليه بصره ، وتبدو عاطفته مرسومة فى تعبيراته وانفعالاته ، وهذا النوع من الكتاب إذا لم ينفعل لم يستطع أن يكتب .لا نجد عندالأستاذ المسيرى الحادثة الضخمة ، ولا الواقعة الروعة ، ولكنها حوادث ووقائع يراها الكثيرون فلا يفطنون إليها ، وإنما يفطن إليها الفنان ، وتهتز بها الأوتار المرهفة المشدودة فإذا هى أنغام تتردد فى الآذان وتؤثر فى كل نفس ، وهذا هو موقع الفارق بين الفنان وغير الفنان . على أنه يتميز إلى جانب هذه « الحساسية الفنية » بروح صوفية شفافة ، وهذا مما يزيد فى توثيق الصلة بينه وبين القارىء ، فأنت إذا ما تناولت هذه المجموعة القصصية فأنك لا تضعها إلا إذا أتيت عليها كلها ، وكأنك تقرأ قصة متسلسلة الفصول متصلة الحلقات . وستجد فى كل قصة من قصصها مهما كان موضوعها ولونها « روحاً وجسداً » يتقاتلان .

محمد فهمى عبد اللطيف

١ – فهارس المكتبة العربية في الخافقين

تأليف الأستاذ يوسف أسعد داغر

كتاب وضعه أو – جمعه إن شئت – الأستاذ يوسف داغر أمين دار الكتب اللبنانية. تكلم فيه على فهارس الكتب العربية في الشرق عن المطبوعات والمخطوطات، وعلى فهارس المخطوطات في البلاد العربية وشمـــال إفريقية والهند. وعلى مجموعات المخطوطات في الخزائن الخاصة الموجودة في سورية وفلسطين والعراق وإيران ومصر. وعلى تزويق المخطوطات وتذهيبها، وعلى فهارس الكتب العربية في أوروبة والولايات المتحدة وفهارس المجلات الاستشراقية والصحافين المستشرقين. وغير ذلك.

والمؤلف يُشكر على اهتمامه بهذه الموضوعات التي جمعها ودل عليها. ويبدو أنه بذل في سبيل ذلك جهداً محموداً غير أنه يؤخذ على الكتاب أمور.

١ – الفوضى وعدم الترتيب. فالذي شعرت به أن الأستاذ داغر سرد كل ما في قصاصاته (فيشه) دون أن ينقح أو يرتب أو يهذب.

٢ – النقل بلا ذكر المصادر. فقد لاحظت أنه ينقل فصولا برمتها من كتب معروفة، ولا يذكر أنه نقلها منها وهذا مناف للأمانة العلمية. ففصل المجلات الاستشراقية مثلا منقول من كتاب سوفاجه حرفاً حرفاً. ومع ذلك فلم يشر إلى المصدر، ولم يشر إلى كتاب رائد التراث العربي، – وهو اقتباس كتاب سوفاجه باللغة العربية – أيضاً.

٣ – أغفل الأستاذ داغر كثيراً من الكتب المخطوطة التي تكلم كثيرون عليها. وقد لاحظت أنه نقل كل ما جاء في مجلة المجمع العلمي من وصف للمخطوطات. وأغفل كثيراً من المخطوطات التي وُصفت في الرسالة أو المقتطف أو غيرهما.

٤ – في الكتاب أخطاء كثيرة في أسماء المخطوطات، أو في أسماء الكتب. وهذا يدل على عدم اطلاع الأستاذ داغر عليها، وقد أورد الأستاذ عمر كحاله في نقده هذا الكتاب في مجلة المجمع العلمي عدداً من هذه الأخطاء.

وأياً كان أمر الكتاب. فإننا نشكر للأستاذ داغر جهده ودأبه على العمل. كما نشكر له تخصيصه ريع الكتاب لصندوق إنقاذ الأراضي في فلسطين.

٢ – مرايا

تأليف الأستاذ عبد اللطيف الضاشوالي

الأستاذ الضاشوالي فنان سوري بارع. برع في الرسم الكاريكاتوري الذي يعبر فيه عن خصائص الرجال وطباعهم، فهو يبين بخطوط قليلة خفايا نفوس كثيرة. وقد أصدر كتابه الذي أسماه مرايا وكتب عليه:

تريك المرايا الخَلْقَ فيهن ماثلا
وهذي تريك الخَلْقَ والنفس والطبعا

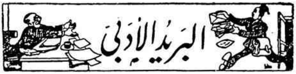
وهذا البيت يدل تماماً على ما في الكتاب، فالرسوم التي توجد فيه، رسوم ذات شأن. يعجبك منها براعتها وصدقها، ويعجبك فيها هذا الوضوح الذي تراه، وتلك الخفايا النفسية التي يظهرها. لقد أظهر كل رجل كما هو. فهذا بخيل، وهذا بطل، وهذا يحلم بالمجلس النيابي ... إلى غير ذلك.

ذيل المؤلف كل رسم ببيت من الشعر أو جملة تفسران الرسم وقد كان موفقاً في هذا التذييل إلى حد بعيد. وإن كان أخطأ في بعضها.

وقد أثبت الأستاذ الضاشوالي أنه عالم نفسي أيضاً إلى جانب كونه رساماً ماهراً.

وشأن آخر للكتاب هو كونه يجمع عدداً من الرسوم لأعظم رجالات سورية. وسيكون هذا الكتاب يوماً مرجعاً يرجع إليه لدراسة هؤلاء الرجال.

(دمشق) صلاح الدين المنجد



تقرير كريم لكتاب قيم :

من التقاريظ التي تفضل بها بعض من رفع لهم محمود بك نصير كتابه أبطال الفتح الإسلامي من العرب والترك . كتاب ورد له من حضرة صاحب العزة الكاتب الفاضل والأديب الممتاز والإداري المصلح حسين بك رأفت مدير الدقهلية .

حضرة صاحب العزة العالم المؤرخ محمود نصير بك

السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد — في هذه الساعات الحاسمة من تاريخ الشرق ، التي تنبه فيها وعيه ودبت فيه روح اليقظة والنهوض ، في هذه الساعات التي هب فيها العرب — موحدة أهدافهم ، متضافرة جهودهم — للعمل على استخلاص حقوقهم واسترداد أمجادهم .

في هذه الساعات وقد بدأ المسلمون يشعرون بأسباب ضعفهم ومدى تخلفهم عن ركب الحياة ويلتمسون السبيل إلى عزتهم وقوتهم .

في هذه الساعات الحاسمة الحالكة ظهر سفرك القيم — أبطال الفتح الإسلامي من العرب والترك — فأضاء المحجة وهدى النجدين

قدمت فيه للناس مثلا عليا يقتدى بها في الهمة والشجاعة والاقدام ، ونماذج حية تحتذى في انكار الذات والإيثار والفناء في العقيدة وإعلاء كلمة الله .

بينت لهم أن علة تأخرهم أنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم — كما أعلنت لهم أنكم « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » — « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز » .

ورسمت لهم كيف أن الرعيل الأول من الخلفاء والقادة والفئة القليلة من الجنود المؤمنين تمكنوا من بسط راية الإسلام على امبراطورية مترامية الأطراف في أقل من قرن من الزمان فبهروا العالم وأتوا بالعجب العجاب .

وإني لأرجو أن تكون هذه الأمثال التي ضربتها للناس نبراساً لهم في ليل الحوادث — وأن يجعلهم الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . إنه هو الهادي ومنه المنة .

وأخصك بشكر عاطر على تفضلك بإهدائي نسخة من هذا الكتاب النافع وأزجي لك تحية كريمة مقرونة ببالغ التقدير والاحترام .

حسين رأفت

مدير الدقهلية

الدكتور قاسم غني سفير ايران في مصر :

قدم القاهرة منذ أسبوعين الدكتور قاسم غني سفير الدولة الإيرانية ، فرحب به كثير من الناس على أنه سفير دولة إسلامية كبيرة بيننا وبينها كثير من صلات الماضي والحاضر ولكن قليلا من الناس في مصر يعرفون أن الدكتور قاسم طبيب له في الطب مؤلفات وأديب كبير له في اللغة الفارسية كتب تقر بفضله وتشهد بمكانته بين الأدباء في إيران وكل الدارسين للأدب الفارسي خاصة ، والآداب الإسلامية عامة ، في أقطار الشرق والغرب .

وقد سعدت بلقائه حين قدم القاهرة منذ سنين فعرفت من حديثه اطلاعه الواسع ، وتعمقه في الأدب الفارسي وحبه للأدب العربي وإلمامه بتاريخه .

ثم جاءت كتبه تترى معرفة بفضله ، شاهدة بعلمه فلقيت اهتماماً وإعجاباً من القائمين على درس الآداب الشرقية في جامعتنا .

وكان الدكتور قاسم حين لقيته مهتما بإحكام الأواصر بين مصر وإيران ، راغباً في تبادل الأساتذة بين المملكتين وزيادة التعارف بين المثقفين في القطرين .

على أن الدكتور الفاضل نشأ طبيباً وتولى تدريس الطب في إيران وله في تاريخ الطب كتاب قيم . ولكن الأدب غلب عليه فكثر بحثه فيه وتأليفه .

وفيما يلي كلمة موجزة في سيرته وتأليفاته :

ولد الدكتور قاسم غني من أسرة علوية شريفة في مدينة سبزدار من أعمال خراسان ، وسبزدار هي مدينة بيهق القديمة المعروفة في تاريخ الحضارة الإسلامية .

ثم رحل إلى طهران للدرس ، ثم سافر إلى بيروت حيث لبث سبع سنوات حتى أكمل دراسة الطب فى الجامعة الأمريكية ، ثم أمضى أربع سنوات فى فرنسا للاستزادة من العلوم الطبية .

ولما رجع إلى بلاده مارس الطب فى خراسان سنين ، ثم دخل المجلس النيابى نائباً عن مدينة مشهد ، وبقى نائباً مدة طويلة .

وكان حين أقامته بطهران يدرس العلوم الطبية بكلية الطب ، كما كان يدرس علم النفس فى مدرسة سپهسالار التى تسمى « كلية المعقول والمنقول » .

وانتخب للمجمع اللغوى الإيرانى حينئذ

قد اشترك فى الوزارة الإيرانية منذ خمس سنوات فكان وزيراً للصحة ثم للمعارف وعام ١٩٤٥ أوفدته الحكومة الإيرانية ليمثلها فى مؤتمر سان فرنسيسكو فى أمريكا فبقى عامين ونصف عام يمثل إيران فى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة وفى لجنة حقوق الإنسان واللجنة الطبية .

ثم عين وهو فى أمريكا سفيراً لإيران فى مصر فرجع إلى إيران ثم قدم مصر منذ أسبوعين . وقد لقيته منذ قدم مرتين فسمعت فى أحاديثه ما عرفت من قبل من علم وأدب ، واهتمام بالتقريب بين الأمم الشرقية واخلاص فى العمل لاسعادها واعلاء شأنها ومن مؤلفاته :

١ — رسالة عن ابن سينا وفلسفته وطبه وعلمه وهى الرسالة التى قبل بها عضواً فى المجمع اللغوى الإيرانى .

٢ — تاريخ علم الطب ، وفيه بحث مسهب عن الطب الإسلامى

٣ — حقوق الطبيب وواجباته (الأخلاق والطب)

٤ — محاضرات فى علم النفس

٥ — ترجمة بعض مؤلفات أناطول فرنس

٦ — مقالات من أناطول فرنس والمقارنة بينه وبين بعض أدباء ايران القدماء .

٧ — عصر حافظ الشيرازى — وهو بحث واسع فى أحوال إيران فى القرن الثامن الهجرى ، القرن الذى عاش فيه هـذا الشاعر الفارس العظيم .

٨ — تاريخ التصوف فى الإسلام وهو الجزء الثانى من كتابه عن حافظ الشيرازى بين فيه تاريخ التصوف ومذاهب الصوفية المسلمين إلى عصر حافظ . وهو كتاب جليل فى هذا الموضوع ينبغى أن يترجم إلى العربية .

٩ — واشـــترك مع الأديب الكبير العلامة محمد بن عبد الوهاب القزوينى فى نشر ديوان حافظ بعد تصحيحه ومقارنة بين نسخه ، وكتابة مقدمة للديوان مفصلة وافية

١٠ — واشترك مع الدكتور على أكبر فياض فى نشر التاريخ المسعودى لأبى الفضل البيهقى .

وقد حدثنى السفير الجليل برغبته فى أن يجد بين الحين والحين فراغاً للانتفاع بخزائن الكتب فى القاهرة ومواصلة بحثه فى هذه المدينة العظيمة .

وإنا لنرحب بالسفير العالم الأديب الدكتور قاسم كل الترحيب آملين أن يجد فى القاهرة أهلا بأهل واخواناً بإخوان ، وأن تتاح له الفرص للبحث فى مكتبات القاهرة ومواصلة سيرته الجليلة فى الدرس والتأليف .

عبد الوهاب عزام

الكلمة الأخيرة :

كتب سكرتير الأزهر إلى عميد كلية الآداب الدكتور عزام يسأله عن حقيقة ماقيل عن رسالة (القصص الفنى فى القرآن) فأجاب العميد بكتاب نشر فى الصحف ، وأذيع فى الناس ، قال فيه : « وحقيقة الأمر أن طالباً قدم رسالة عن القصص فى القرآن لينال بها درجة دكتور فردتها لجنة الفحص ، فهى رسالة بين طالب وأساتذته عرض عليهم رأيه فمزقوه خطأه ، كما يسأل التلميذ أستاذه أو يعرض عليهم ما بدا له فى مسألة مسترشداً ...

(إلى أن قال) وكاتب الرسالة فيما أعرف عنه وكما يبدو من كتابته شاب مسلم قصد أن يدفع عن القرآن بعض شبه الملاحدة أو رجال الأديان الأخرى فجار به رأيه عن القصد وحاد به اجتهاده عن سواء السبيل .

(إلى أن قال) وأرى أن الأمر لايعدو أن يكون غلطة تلميذ اجتهد وأحسن النية فردّ عليه رأيه ولم يؤذن له أن ينشر هذا الرأى أو يتقدم بهذا الكتاب إلى الامتحان » .

(قلت) جزى الله صديقنا الجليل الدكتور عزام خيراً ، فقد

هوّن الخطب علينا حين عرفنا أن صاحب الرسالة[1] ليس إلا تلميذاً مخطئاً ، وكنا قد سمعنا من قبل أنه مدرس فى الكلية ، فكبر علينا أن يكون فى الجامعة التى ترسل إليها أبناءنا ، يقطعون البر والبحر ليردوا معين علمها ، مدرس غاية جهده مثل هذه الرسالة التى امتزج فيها الدين المتين ... بالمنطق السديد ... بالعلم الفياض ... بالبيان العذب ... حتى كانت معجزة العصر ، ونادرة الدهر !

ولكنى أريد أن أسأل الدكتور عن قوله (وكاتب الرسالة فيما أعرف عنه ، وكما يبدو من كتابته شاب مسلم) — هل قرأ كتابته فى رسالته فرآه يبدو منها شاباً مسلماً ؟ أما أنا فقد قرأت الرسالة ، (وصلت إلىّ كما وصل إلىّ تقرير الأستاذ أحمد أمين الذى نشرته فى الرسالة) ونقلت منها صفحات بحروفها .

وأنا أؤكد القول أن ما نقلته منها ، لو قاله معتقداً به أبو بكر وعمر ، لكفر به أبو بكر وعمر ، وصارا به أبا جهل وأبا لهب ، وأنا قاض شرعى أدرى إذا تكلمت عن الكفر والإيمان ماذا أقول ، وأثبته بالدلائل وأؤيده بالنصوص وأناظر فيه من شاء من أهل العلم أن يناظرنى ؛ لست كالأستاذ توفيق الحكيم الذى لبس الجبة فجأة ولاث العمة ، وتصدّر للفتوى فى ... (أخبار اليوم)!

وعلى ذكر مقالة الأستاذ توفيق الحكيم هذه ، أقول أنى سألت الشيخين الجليلين عبد المجيد سليم ومحمود شلتوت عن صحة ما نسب إليهما فى (أخبار اليوم) عن تبرئة الرسالة وصاحبها من الكفر ، فقال لى الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم حفظه الله « إنه ما اطلع على الرسالة ، وإنما قرأ تقرير الأستاذ أحمد أمين عنها ، ولا شك عنده أن الأقوال التى عزاها فى التقرير إلى الرسالة كفر وأن معتقدها كافر » وأذن لى أن أنشر ذلك على لسانه .

وقال لى الأستاذ الشيخ محمود شلتوت أنه إنما سئل عن المكفرات ما هى فقال فيها ما قاله الفقهاء ، ولم يُفتِ فى الرسالة بشىء ، ثم قرأت له بياناً فى الصحف هذا معناه .

فما دام صاحب الرسالة ليس إلا تلميذاً مخطئاً لا مدرساً ولا معيداً ، وما دامت الرسالة قد ردّت وأسقطت ، وعلماء الأزهر وأساتذة الجامعة قد اتفقوا على القول بمخالفتها للاسلام ، وإدارة الكلية منعت (كما قال العميد) نشرها ، فلا داعى عندى لإعادة القول فيها ، وتسخير صحف المجلات ، وأقلام الكاتبين ، وأذهان القارئين ، لإجابة شهوة الشهرة ، وحب الظهور ، فى نفس هذا التلميذ المخطىء .

ورأيى أن خير دواء له الاعراض عن ذكره !

على الطنطاوى

الى الأستاذ السهمى :

قرأت فى العدد (٧٤٥) من الرسالة الغراء تحت عنوان (فعلاء) كلمة للأستاذ الجليل (السهمى) عن جمع صيغتى (افعل وفعلاء) على (فُعْل) مثل أحمر وحمر وحمراء وحمر ، ونقل ذلك عن (عمرو) فى (البحر) وكتب الأستاذ السهمى فى الحاشية تعليقاً وتكميلا للعبارة المنقولة ما لفظه : « وقال : وأما الأصغر والأكبر فإنه يكسر على أفاعل ، ألا ترى أنك لا تصف به كما تصف بأحمر ونحوه ... فلما لم يتمكن هذا فى الصفة كتمكن أحمر أجرى مجرى أجدل وأفكل كما قالوا : الأباطح والأساود حيث استعمل استعمال الأسماء » .

ومعنى ذلك أن (الأكبر والأصغر) إنما لم يجمعا تكسيراً على فعل كما يجمع (الأحمر) لأنهما لم يتمكنا فى معنى الصفة بل يستعملان استعمال الأسماء فإذا جمعا على أفاعل فقيل فيهما أكابر وأصاغر كما يقال أباطح فى جمع أبطح .

والذى أراه أن الأكبر والأصغر ليسا من الموضوع المبحوث فيه لأن الموضوع هو جمع افعل الذى مؤنثه فعلاء فهو الذى يجمع على (فعل) كأحمر وحمر ، فأما الأكبر والأصغر فهما فى الأصل من قبيل أفعل التفضيل ، وأنثاه فُعلى على وزن (حبلى) فقياس جمعه فى الأصل أفاعل نحو أكابر وأصاغر وأفاضل وأكارم وأماجد وأعاظم فى جمع أكبر وأصغر وأفضل وأكرم وأمجد وأعظم ، وليس جمعه كذلك من قبيل الخروج على قاعدة (أحمر وحمر) لسبب استعماله استعمال الأسماء .

فما رأى الأستاذ السهمى فى ذلك ؟

مصطفى أحمد الزرقا

(١) نحن فى الشام نسمى رسالة الدكتور الأطروحة .



من مذكرات سجين

للقصصي الكبير فرانسوا كوبيه

بقلم الأديب عبد اللطيف حسين الأرناؤوط

في صباح الغد ، ينقضي أمد ستة الأشهر التي حكم علي بقضائها في السجن لسرقتي ألفي فرنك من خزانة المحل الذي كنت موظفاً فيه . في صباح الغد أكون قد كفرت عن خطيئتي وقضيت ما عليّ من دين للمجتمع الإنساني .

في صباح الغد في الساعة الثامنة سيطرق السجان باب سجني ومعه ثيابي التي خلعتها قبل دخولي السجن . وإني لأذكر تلك الثياب ، فإنها كانت جديدة متقنة الصنع على أحدث طراز وسأرتديها غداً وأخرج إلى الطرقات . فمن يظن وأنا في مثل هذه البزة أني خارج من أعماق السجون ! سأخرج في الساعة الثامنة وأرى مرغريت كوعدها تنتظرني في عربة أمام باب السجن ...

بين مساء اليوم وصباح الغد سأصير حراً طليقاً وسأكون سعيداً لو أردت ، فمرغريت التي ارتكبت من أجلها هذه السرقة تقسم لي في خطاب الأمس أنها ما زالت حافظة لعهدي متمسكة بودي ، وأنها ستعيش معي حتى الموت ، إذن فسنعيش آمنين بين أحضان باريس العظيمة التي وسعت كل عار وسترت كل ذنب ، ومن كان في نشاطي لم يعجزه مرتزق يعيش من ورائه هو وحبيبته ... ولكن لندع عمل المستقبل للمستقبل ، ولا نفكر الآن إلا في الغد ، وما سيتبلج عنه صبحه ، إن مرغريت ستنتظرني في عربة فمندما أرى هذه العربة أمام السجن ، أجري إليها ، فألمح مرغريت منزوية في ركن منها ،

لفظة لازاريت :

قال الأستاذ الجاحظ في العدد الماضي من الرسالة إن بعض الغربيين زعم إن كلمة لازريت الفرنسية . Lazaret (ومعناها المنزل أو الحجر الصحي) مشتقة من كلمة « الأزهر » « لأن الأزهر في مصر ملجأ للعميان والشيوخ والمتقاعدين »

وبعدما أنحى الجاحظ باللائمة على أولئك المتعجلين من الباحثين لتورطهم في أخطاء الاشتقاق ، قال إن الأصل اللاتيني لكلمة لازاريت معناه المجذوم وأن الصلة بين الحجر الصحي والمجذوم أقرب وأكثر جلاء منها بين لفظتي « الأزهر » و « لازاريت »

ويخيل إلى أن الاشتقاق — إذا كان هناك اشتقاق — مستمد من اسم « لعازر » Lazarus وهو رجل فقير أخذت جميع الأمراض بتلابيبه — ومنها الجذام — وكان طريح الأرض عند باب ثري يريد أن يشبع بطنه الفتات الساقط من مائدة ذلك السري . وقد روى قصة هذا الفقير السيد المسيح كما جاء في إنجيل لوقا إصحاح ١٦ عدد ١٩ — وقال إن كلا من الفقير والغني مات فكان جزاء الأول أن ينعم في حضن إبراهيم وكان جزاء الثاني هاوية العذاب يشتهي حتى أن يبلّ لعازر طرف إصبعه بماء ويبرد به لسانه .

وأحسب أن هذه القصة بسبب كثرة تداولها وشيوعها بجميع اللغات ولا سيما اللاتينية واشتقاقاتها ، كانت السبب الأول في أن يقترن اسم لعازر بالبلايا والأمراض والفقر وتلك هي عين المعاني التي ترمز إليها كلمة Lazare الفرنسية ومنها اشتقت كلمة لازاريت Lazaret .

هذا في ظني مصدر الاشتقاق ، وإذا كان عند العليمين شيء فليطلعونا عليه للنفع العام .

وديع فلسطين

المحرر بالمقطم — القاهرة

فآخذ مكانى بجانبها وآمر السائق باحتثاث السير ، وبعد ذلك أمسك يد مرغريت وأنظر إليها فتهتاج السكينة شوقاً ، وترتمى على صدرى باكية ...

ما أعذب القبلة التى تعقب ذلك . وتكون العربة أثناء ذلك قد أوصلتنا إلى منزلنا فنصعد إلى غرفتنا فى الطابق الرابع ، التى تشرف نافذتها على حدائق اللوكسمبرج . ونمد مائدة إفطارنا أمام النافذة حيث تداعب أشعة شمس الصباح أنيتها فتبدو لامعة كأنها تبتسم للاقانى ، وبعد أن نتناول طعامنا بين حديث ولعب ، تجيء مرغريت بالقهوة ، فأجلس أحتسيها ، وتجلس هى بجانبى وتسند رأسها إلى كتفى ، فأستنشق عبيرها ، وأستروح أنفاسها ، ثم أقبلها قبلة طويلة .

هذا ما يعده لى صباح الغد ، وهذا ما سألقاه فيه من حرية وسعادة وحب ...

ولكن كل هذا لن يكون ... فسأنتحر بعد قليل .. ربما يسود وجه الصحيفة التى أكتبت عليها هذه الكلمات . فالحبل الذى أعددته من غطائى متين والقضبان الحديدية فى النافذة سميكة !

يجب أن لا أخرج صباح الغد من قبرى هذا إلى الحياة . إذ لو خرجت لارتكبت آثاماً أخرى . فإنى لا أقوى على رؤية مرغريت واقفة أمام حانوت الجوهرى تلهب نظراتها إلى أساور من ذهب أو تصعد زفراتها وراء قرط من جوهر ، أو تنظر إلى خاتم من ماس ثم ترجع النظر حاسراً إلى أصابعها العاطلة . عند ذلك أقسم بالله أنى أعود فأسرق لأجىء لها بما يرضى نظرتها ويهدأ زفرتها ويحقق رغبتها ... يالله . هل أنا مجرم من أكبر الناس إجراماً ؟ أم أنا مجنون ضل عنى رشادى ؟ لا أعلم غير أمر واحد ، هو أنى أعود فأسرق لأرضى مرغريت ...

يا لها من امرأة . ويا لعظيم حبى لها ووجدى بها منذ أول يوم رأيتها . إنى لأذكر ذلك اليوم وأذكر أنى كنت مع صديقين دعيانى للذهاب معهما إلى (مونمارتر) حيث كانت حفلات العيد قائمة واللهو رخيص ثمنه ، سهل مناله . وكنت متعباً ذاك المساء فرفضت دعوتهما أولا ولكنهما ألحا علىّ فقبلت أخيراً ...

وجئنا (مونمارتر) فكانت ساحاته تموج بآلاف من الخلق ووقفنا أمام أحد مراقصه فرأينا فتاتين ترقصان ، فخادنهما أحد صديقى وجلسنا معهما . وكان مجلسى بجانب إحدى الفتاتين وكانت شقراء الشعر جميلة الوجه محتشمة الحديث فقيرة الهيئة . وحادثتها فكان صوتها جذاباً كعينيها وقال لها أحد صاحبى كلمة غليظة خلال الحديث فلم تجبه إلا بابتسامة مغتصبة تدل على أدب الفتاة وأنها غير راضية لما هى فيه من حال ، ودعوتها لمنزلى ، وقصت علىّ الفتاة باكية — وإنى لأحس حرارة دموعها حتى اليوم — قصة مجيئها إلى هذه الحياة من أحد أبوابها المظلمة وطفولتها البائسة وفقرها المؤلم وإيصاد كل باب رزق دونها وتشريدها آناء الليل فى شوارع باريس الباردة المظلمة . ثم زلتها الأولى ، واندفاعها فى ذلك التيار الذى طالما حمل فى سيره ضحايا لا عداد لها ، فبكيت رحمة لبكائها ، وعرضت عليها أن تجيء فتعيش معى عيشة الفضل والعفاف فقبلت راضية وسرنى رضاها وأظننى أتيت أمراً لا طاقة لى به إذ ذاك ، فإن ما أتقاضاه من مرتب ما كان يسمح لى بمعاشرة امرأة اللهم إلا إذا كانت امرأة مقتصدة تقنع بالقليل ولا تطلب الكثير ومرغريت يا للأسف ليست كذلك . فقد كانت تختبىء فى قرارة نفسها الفتاة الباريسية التى تشارف فى غدوها ورواحها حوانيت الحلى والحلل ، وتلامس فى سيرها وركوبها السيدات اللائى رزقن الغنى بثمين اللباس وغالى الزخرف وكنت أرجع من عملى ظهر كل يوم فأراها ملازمة لسريرها لا تفكر فيما يقتضيه المنزل من عمل فحاولت أن أصلح من أمرها وأقوّم من خلقها فأجابتنى بقسوة « ماذا تريد ؟ هكذا خلقت فدعنى وابحث عن سواى ، فلن تصلحنى مهما حاولت » فلم أدر كيف أجيبها على قولها ، فإنها لا تبالى بى . وأصبحت لا أستطيع عنها فراقاً ففكرت فى أن أضحى قليلا من راحة فؤادى وأقطع ما بينى وبينها من صلة . ولكنى فكرت أيضاً فى أنها لن تكاد تفارق بابى حتى تعود سيرتها الأولى ؟ من حياة يملؤها العار ، ومن ليل بؤس ليس له نهار ، فعدلت عن فكرتى رحمة بها وحباً لها ، ثم كيف أهجرها وقد تغلغل حبها فى صميم فؤادى وأصبحت أرى ليالى الطويلة الباردة عامرة بمن يسلى وحدتى ويزيل وحشتى . أأهجرها وأنا أحبها أكثر من أمس وأقل من غد ؟ أأهجرها وهى أول امرأة خفق لها فؤادى وأول من غرام مشت ناره بين أضلاعى !

واشتريت لها كل ما وسعته ثروتي من لوازم النساء. وصحبتها إلى كل مسارح اللهو ومراتع السرور خشية أن تمل مكثها في المنزل وهي ابنة اللهو والسرور . وضاقت يدي ذات يوم عن قضاء حاجة لها فاستدنت وكان أول ما استدنت .. فأهمني أمره وأرقني وقره . . . ولم أبح به لمرغريت . . . وعلام وأنا أتوقع ردها ، وماذا تريد أن أفعل لك ، دعني وشأني ! .. ولينفصل أحدنا عن الآخر » ثم استدنت مرة أخرى . وأنا لا أبوح لها بما في نفسي من خوف مؤلم من المستقبل المظلم .

وإني أقول ما سأقول الآن وأنا واثق من صحته . ذلك أن كل الرجال الذين رمت بهم يد الغرام أو يد المرأة إلى مثل موقفي هذا يحاولون خلاصاً من هذا الموقف بنشيانهم ما يسمونه طريق الحظ أو السعد فيقصدون بيوت القمار . أو ساحات السباق . . وذلك أن أحد رفقائي في عملي كان يغشاها وطالما أسعده الحظ بأن ربح ، وكان جالساً أمام مكتبه باسطاً صحيفة تدلي لقرائها بما تراه في أمر الخيل وأيها السابق وأيها المصلي . وأخذ يناقش آخر في أمر جواد معلوم ، يرى أنه ولا شك السابق . وأنه لا شك مراهن عليه .

فقلت إذ ذاك : ولم لا أعمل مثل صديقي فربما أسعدني الدهر فربحت فأسعدت نفسي ومرغريت وضربت بيدي إلى جيبي فوجدت فيه دراهم معدودة . فطرحت فكرة القمار مرغماً .

وذات ليلة ونحن في طريقنا إلى الملاهي وقفت مرغريت أمام حانوت جوهري ونظرت إلى أساور من ذهب وماس وقالت لي : ما ثمن هذه الحلية ؟

فقلت : إنها تساوي أربعين جنيهاً !

فقالت : إن مثل هذه الأشياء جعلت للأغنياء ولا أدري لم لم يجعلني الله من عبادهم ... ونظرت إلى دمعة تترقرق في مآقي عينيها . فكدت أبكي لها ولنفسي . وبغتة طرقت رأسي فكرة القمار في سباق الخيل ، وفكرة الجواد السابق ، ولكن أين لي المال لأراهن عليه ؟ . .. ولكن المال كثير في خزانة المحل وأنا الأمين عليه . وما دام المكسب مضموناً مع هذا الجواد ، فلم لا أمد يدي إلى ألفي فرنك أرمي بها في سوق القمار ثم أربح وأعيدها إلى مكانها الأول واحفظ الربح لنفسي؟ هذا خير رأي ، وأصوب فكر . ولكن ما العمل إذا خسرت ؟ قلت ذلك لنفسي . ونظرت نظرة غضبي إلى مرغريت وهي عالقة بذراعي . ولكن أحمد الله فإنها كانت ملتفتة إلى ناحية أخرى تنظر إلى معروضات المخازن . إذ لو رأت نظرتي لارتاعت ذعراً . . إذا خسرت ؟ نعم إذا خسرت لا شيء غير أن يجيء رجل أو اثنان من الشرطة فيقبضان علي باسم القانون ، وأجلس محني الظهر على مقعد المتهمين في محكمة الجنايات ، ثم أقضي بعد ذلك جزءاً غير قصير من عمري في غياهب السجن ، ذلك إذا خسرت ؟ ولكن أكون بعملي هذا قد قدمت إلى مرغريت برهاناً قوياً ودليلا قاطعاً على حبي لها ؟ وربما أحبتني إذ ذاك لعلمها إني أتيت ما أتيت مرضاة لها .

ولكن لماذا هذا الخلط في الحديث فالساعة أزفت . ولافائدة من أن أثقل على قارىء هذه الصفحات بتفاصيل ما ارتكبت ولم أقص عليه كيف ارتكبت السرقة ، ولا كيف وقفت تتنازعني العوامل المختلفة من خوف إلى حزن ، إلى ندم ، إلى أمل إلى فرح ، وأنا في ميدان السباق . ولا كيف خسر الجواد وجاء مجلياً ، ولا كيف اكتشفت سرقتي ، والقبض علي ، ومحاكمتي ثم سجني ...

الوداع يا مرغريت . إني أحبك ، وأغفر لك وأعفو عنك . فلربما سالت دمعة من عينيك عندما تقرأين هذه الصفحات الملوثة بذكرك ، كوني فخورة أمام عاشقك الجديد بأن هناك رجلا انتحر لأجلك ...

هاهوذا نصف الليل لقد دقت الساعة ، وهأنذا قد أحكمت الحبل إلى النافذة فلأتشجع ولأنهي الأمر ! ...

(دمشق) عبد اللطيف حسين الأرناؤوط